الإسلام وتهمة الإرهاب

تأليف الدكتور

حسن عزوزي

أستاذ بجامعة القرويين ورئيس

تحرير مجلة كلية الشريعة بفاس

صفحه أبيض


بسم الله الرحمن الرحيم

صفحه أبيض

تقــديــم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فلا يشك أحد في أن الاعتداءات التي أصابت أمريكا يوم ١١ أيلول ٢٠٠١ قد أفرزت تداعيات خطيرة على مستوى العلاقة بين الإسلام والغرب، ولعل أبرز تلك التداعيات بروز موجة عارمة من الحقد والكراهية ضد العرب والمسلمين وضعت صورة الإسلام في الغرب في محك حقيقي لم يسبق أن وضعت فيه منذ أكثر من عقدين من الزمن.

الغريب في الأمر أن موجة الحقد والكراهية التي أبداها كثير من الغربيين بعد الأحداث الأخيرة لم تقف عند حد مضايقة واستفزاز مواطنيهم من العرب والمسلمين، وإنما انجر ذلك إلى اتهام الإسلام ذاته بأنه يدعو إلى العنف والإرهاب وبذلك اختزل الغربيون الإسلامَ كله بعقيدته ومبادئه وقيمه في الذين يُعتقد أنهم قاموا بالاعتداء على المواقع الحيوية الأمريكية .

وإذا كان بعض زعماء وساسة الدول الغربية قد سارعوا إلى الدعوة إلى عدم الخلط بين الإسلام والإرهاب حتى إن إضفاء عبارات المدح والاحترام للإسلام ومبادئه

قد أضحى يتكرر على لسانهم في كل خطاب رسمي أو تصريح إعلامي فإن الإعلام الغربي بكل مكوناته من كلمة وصورة وصوت وكاريكاتور لم يتردد لحظة في استغلال أحداث أمريكا وما تلتها من أحداث عنف هنا وهناك لكي يتهجم على الإسلام والمسلمين، ولم يمل من الحديث عن الإسلام كمصدر من مصادر العنف والإرهاب ساعيا بذلك إلى إنضاج مزاوجة تقرن الإسلام بالإرهاب في أذهان الغربيين بصورة تلقائية وعفوية مما نتج عنه تهييج مشاعر رجل الشارع الغربي في اتجاه معين وعلى نحوٍ أدى إلى التحريض ضد العرب والمسلمين.

إن المسلم الغيور ليستشيط غيظا وغضبا عندما يلاحظ حدة تنامي وتعاظم موجة اتهام الإسلام والمسلمين بالعنف والإرهاب، كما أن المهتم والمتابع لواقع صورة الإسلام في الغرب لَيأسف على ما آلت إليه تلك الصورة في الآونة الأخيرة من تشويه وتمييع بَالِغين. لقد شاء مقدر الأقدار أن تأتي أحداث أمريكا وأحداث أخرى جاءت بعدها لتهز ما سعى المسلمون في البلاد الإسلامية والديار الغربية خلال العقدين الماضيين إلى تحقيقه من تصحيح لصورة الإسلام في الغرب وتحسينها ومحاولة التصدي لكل التهم والشبهات والطعون التي طالما وُجهت إلى الإسلام والمسلمين.

يأتي هذا الكتاب إذن ليسهم في تصحيح جانب من جوانب تلك الصورة المشوهة للإسلام التي نضجت بقوة في الأوساط الغربية غداة تفجيرات ١١ أيلول ٢٠٠١. وَيُشَكل الكتاب محاولة طموحة لبحث أسباب وخلفيات إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام وهي التهمة التي ترددت طويلا عبر مختلف وسائل الإعلام الغربية في تحدٍّ صارخ لمشاعر أكثر من مليار مسلم.

وقبل ذلك يجدر بنا التذكير بموقف الإسلام الواضح من قضايا العنف والإرهاب والتطرف ، والتأكيد على أن النصوص الشرعية في هذا المجال تؤسس لموقف النبذ الصريح لجميع صور العنف والإرهاب . بيد أن تشخيص ظاهرة العنف والتطرف والحكم عليها وتقويمها ينبغي ان يتم من خلال منظومة الإسلام العقدية والفكرية والأخلاقية التي ترتكز إلى المنظورين القرآني والنبوي.

وإذا كان ما يعرف اليوم في الأوساط السياسية والإعلامية بالإرهاب والتطرف وما شاكل ذلك من مصطلحات تحمل دلالات وإيحاءات سلبية إنما هي مصطلحات قد صنعت في الدوائر السياسية والإعلامية الغربية فإن الإسلام له موقف ثابت وصارم في نبذ كل ما يرتبط بلغة العنف من مفاهيم متنوعة كالإرهاب والتطرف.

وهكذا جاء الكتاب في خمسة فصول:

الفصل الأول: موقف القرآن والسنة من قضايا العنف والإرهاب والتطرف.

الفصل الثاني: عندما يتهم الإسلام بالإرهاب.

الفصل الثالث: من يقف وراء الاتهام.

الفصل الرابع: سياسة التخويف من الإسلام.

الفصل الخامس: الإسلام دين الأمن والسلام والتسامح.

ويبقى التساؤل المطروح " هل من أمل في تصحيح صورة الإسلام في الغرب ؟ " قائما وملحا ينتظر الإجابة التي لا يمكن أن تكون إيجابية إلا إذا تم توجيه جهود العلماء والمفكرين والدعاة إلى المساهمة بقوة في دعم عملية تصحيح صورة الإسلام في الغرب ، وما ذلك على ذوي الهمم والعزائم من دعاة الإسلام وحماته بعزيز.

الفصل الأول:

موقف القرآن والسنة من قضايا الإرهـــاب والعنف والتطــرف

أبيض

سنحاول -بإذن الله- في هذا الفصل التأصيل لموقف القرآن الكريم والسنة النبوية من العنف كاستعمال سلبي للقوة وكطاقة للتدمير والإلغاء وذلك من خلال تقديم إضاءات مفاهيمية للمصطلحات المرتبطة بمجال العنف (الإرهاب- العنف- التطرف -الغلو) ثم التأسيس لموقف الرفض القرآني والنبوي ونبذهما التام لكل ما يتعارض مع الفطرة الإنسانية والإسلامية من نزوع إلى أي شكل من أشكال العنف والتطرف ومحو الآخر.

الإرهاب:

لا توجد كلمة أكثر إثارة للجدل واستخداما في مختلف وسائل الإعلام العالمية في السنوات الأخيرة مثل كلمة "إرهاب". وبالرغم من الاستعمال الواسع النطاق للكلمة فإنه ليس هناك أدنى اتفاق حول التعريف الدقيق والمحدد والمقبول من كافة الدول والجماعات والشعوب لمفهوم مصطلح "الإرهاب".

ولذلك لم يعرف مصطلح الإرهاب في معناه الشائع اليوم إلا انطلاقا من التقاط الغرب لهذا المصطلح في العقود الأخيرة في سياق مبادرته إلى الإمساك بالمصطلحات عن طريق الهيمنة على اللغة الإعلامية، فهو الذي يصوغ المفاهيم ويسوقها إعلاميا ويبادر إلى نعت المسلمين بالإرهاب في سياق منظومة من المفاهيم

الهجومية تبدأ بالتشدد إلى التطرف فالتعصب ثم إلى الأصولية فالإرهاب. ويتطرف الغرب بكل قوة عندما يصف الإسلام ذاته بأنه يغذي كثيرا من أشكال العنف والإرهاب ، في حين أن نصوصه القرآنية والحديثية صريحة في نبذ كل صور العنف وأشكال الإرهاب.

وتعتبر لفظة "الإرهاب" في استعمالها الحديث المنبثق عن التسويق الغربي للمفهوم كلمة غامضة لم يتم الاتفاق على معنى محدد لها حتى إن هناك مثلا سائرا يقول : إن الإرهابي عند فئة من الناس هو مناضل من أجل الحرية عند فئة أخرى.

وتعرف موسوعة Encarta الالكترونية " Terrorisme الإرهاب" بأنه "استعمال العنف أو التهديد باستعمال العنف من أجل إحداث جو من الذعر بين أناس معينين يستهدف مجموعات عرقية أو دينية أو حكومات أو أحزابا سياسية أو غيرها".

أما الدول العربية فقد اعتمدت في وثيقة عرفت بالاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التعريف التالي: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم في أبنائهم أو تعريض حياتهم وأمنهم للخطر... ولا تعد جريمة حالات

الكفاح بمختلف الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل تقرير المصير لمبادئ القانون الدولي" [(1)]

فالمقاومة مشروعة إذن ،وبهذا المفهوم استعملت لفظة الإرهاب في القرآن الكريم كما سبق تقريره.فمصطلحات المقاومة والكفاح وردع العدوان كلها تدل على الدفاع عن النفس أو الوطن وهذا مشروع في جميع الشرائع والقوانين، أما إذا خرج الأمر عن المقاومة وصار عدوانا فإن الكلمة عند ذلك تدل على معنى مذموم حسب نوع الإرهاب أو القتل أو الحرب.

إن مصطلح الإرهاب جاء في القرآن الكريم في دلالات مختلفة لا صلة لها البتة بالمفهوم الغربي يقول تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (60) ﴾ [الأنفال] [(2)] .

وإذا تأملنا جيدا معنى الإرهاب في الآية نجده يرمي إلى معنى "الردع" فيكون معنى " ترهبون به عدو الله" أي تعدون من القوة ما يجعله يخاف من الحرب فيرتدع عن ممارسة العنف الذي قد يدفعكم إلى العنف المضاد.

---

(١) تم إقرارها من طرف مجلس وزراء داخلية ٢٢ دولة عربية عام ١٩٩٨.

(٢) الأنفال ، الآية : ٦٠.

إنها نوع من المقاومة القبلية أو الدفاع عن النفس والدين عن طريق الوقاية من الاضطرار إلى الرد على العنف بالعنف المضاد على اعتبار انه رد طبيعي وتلقائي ومشروع ضد العنف المراد إنشاؤه وتوجيهه ضد المسلمين.

أما اليوم فهناك من (يؤصل) للإرهاب الجاري بقول الله تعالى (ترهبون به عدو الله وعدوكم) وهذا -بدون شك- ضلال عن المنهج القويم : منهج فهم الآية في سياقها الصحيح، فهناك انحراف بالآية عن سياقها المنهجي والاستشهاد بها لتسويغ الإرهاب الفاجر على اعتبار أن القرآن الكريم يدعو إلى العنف والإرهاب.

إن مفهوم (الرهبة العسكرية) أمر معروف ونافذ على مستوى الدول والجيوش النظامية بمعنى ان الذي لا يرهب جانبه العسكري يصبح كيانا مستباح الحمى.

وإذا كان معنى الإرهاب وفق المفهوم الغربي ينطوي على خزين من الوقائع والدلالات المصطبغة بالتطرف والعنف ونشر الذعر والقتل والسفك في سبيل نشر فكر سياسي أو ديني ، فإن المعاجم العربية لا تعترف بهذا المعنى الذي اختير كترجمة مجحفة ومربكة.

ان معنى الإرهاب في المفهوم الإسلامي والعربي وكما تعرفه قواميسنا هو تخويف الآخر.

لقد اشتقت كلمة "إرهاب" من الفعل المزيد (أرهب)

ويقال أرهب فلان فلانا أي خوفه وأفزعه ، وهو نفس المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهب) أما الفعل المجرد من نفس المادة وهو (رهب) يرهب رهبة ورهبا ورهبا فيعني خاف، فيقال رهب الشيء رهبا ورهبة أي خافة، أما الفعل المزيد بالتاء وهو (ترهب) فيعني انقطع للعبادة في صومعته (رهبان النصارى) ويشتق منه الراهب والرهبانية ..إلخ ، وكذلك يستعمل الفعل ترهب بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال : ترهب فلانا : أي توعده ، وكذلك تستعمل اللغة العربية صيغة "استفعل"من نفس المادة فتقول(استرهب) فلانا أي رهبه(١) .

ويلاحظ ان القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح "الإرهاب" بهذه الصيغة وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من نفس المادة اللغوية بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفزع ، والبعض الآخر يدل على الرهبنة والتعبد.

وهكذا وردت مشتقات المادة (رهب) سبع مرات في مواضع مختلفة في الذكر الحكيم لتدل على معنى الخوف والفزع كالتالي:

يرهبون (وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم

---

(١) لسان العرب لابن منظور الجزء الثالث،مادة(رهب)والمعجم الوسيط والمصباح المنير،مادة (رهب).

يرهبون) (الأعراف ١٥٤).

فارهبون ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [**البقرة**: ٤٠]

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [**النحل**: ٥١]

ترهبون ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ [**الأنفال**: ٦٠]

استرهبوهم: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [**الأعراف**: ١١٦].

رهبة: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ [**الحشر**: ١٣]

رهبا : ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ [**الأنبياء**: ٩٠].

ووردت مشتقات نفس المادة (رهب) خمس مرات في مواضع مختلفة لتدل على الرهبنة والتعبد (رهبان- رهبانهم - رهبانية). بينما لم ترد مشتقات مادة (رهب) كثيرا في الحديث النبوي ولعل أشهر ما ورد هو لفظ (رهبة) في بعض الأحاديث النبوية منها حديث الدعاء (وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك)[١].

ومما يلاحظ أيضا ان القرآن الكريم والحديث النبوي

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد وكتاب الدعوات ، ورواه أحمد في مسنده ٢٨٥/٤.

قد اشتملا على بعض المفاهيم التي تتضمن معاني ودلالات الإرهاب والعنف بمعنى استخدام القوة أو التهديد لتحقيق أهداف معينة ، ومن هذه المفاهيم : القتل والبغي والحرابة والعدوان.. إلخ..

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بالتطبيق الذكي في الحرب لمفهوم "الإرهاب" وفق المدلول القرآني السابق أي معنى الردع ، فقد أمر عمه العباس في فتح مكة أن يحبس أبا سفيان في شعب" وأن يوجه كتائب جنود المسلمين لتمر أمامه كتيبة كتيبة ، وينسب كل كتيبة إلى قبيلتها ، فراح أبو سفيان يسأل عن كل كتيبة فيقال : هؤلاء بنو فلان ، فيقول مالي ولبني فلان ، فكان لذلك الاستعراض تأثيره الفاعل في نفسية أبي سفيان على النحو الذي يرهبه ويردعه عن بدء القتال ، وبعد اقتناع أبي سفيان بقوة المسلمين ركب فرسه ودخل على قومه يقول: " يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به" فكان ان فتحت مكة سلميا ولم تزهق أي روح [(١)] . وبذلك تحقق أمر الإعداد المفضي إلى الإرهاب أي الردع،وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ملمحا إلى معنى الردع الذي نتج عنه كف أيدي الكفار عن المسلمين وعدم نشوب الحرب، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ**

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري، طبعة الدار البيضاء ٢٠٠٠ ص ٣٦٩.

عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[1]

وانتهى أمر فتح مكة بتطبيق النبي صلى الله عليه وسلم للمفهوم السلمي الحضاري عندما خاطب قريشا بقوله :"يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء"[2] ، فلم يمارس حقه الطبيعي في ممارسة العنف المضاد والمشروع أي العقاب بالمثل "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به"

العنف :

العنف مفهوم سلبي يرمي إلى انتزاع المطالب بالقوة وإكراه الآخر على التنازل عنها أو الاعتراف بها بوسائط يتكبد خسائر من جراء استعمالها. وهو أسلوب مرفوض في الأديان والقيم الإنسانية والحضارية، لأنه يحول القوة الفكرية والمادية والمعنوية والروحية من طاقة ضرورية للإنسان لبناء ذاته ومجتمعه وحضارته إلى طاقة تدميرية وقوة سلبية.

ولا بد من التمييز بين نوعين من العنف: العنف المادي

---

(١) الفتح ٢٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، طبعة دار ابن كثير ، بدون تاريخ، المجلد الثاني ص ٤١٢.

والعنف الرمزي ، فالأول يلحق الضرر بالموضوع (الذي يمارس عليه العنف) سواء كان في البدن أو في الحقوق ، أو في المصالح أو في الأمن وغير ذلك، أما العنف الرمزي فيلحق ذلك الضرر بالموضوع على المستوى السيكولوجي بأن يكون في الشعور الذاتي بالأمن والطمأنينة والكرامة والاعتبار والتوازن...إلخ ولا يقل الثاني عن الأول في فداحة العواقب،وهو وإن لم يكن يمس حق الحياة لدى الفرد والجماعة -كما هو شأن العنف المادي أحيانا -إلا أنه يصيب المعرض له في ما قد يكون مقدسا لديه ، بل قد يكون هذا الضرب من العنف مرحلة نحو ممارسة العنف المادي.

بيد أن هذا التعريف للعنف يحتاج إلى ملاحظة احترازية ضرورية ويرتبط الأمر بالحاجة إلى التمييز بين العنف الشرعي والعنف غير المشروع.

فالعنف الشرعي يهدف إلى استعمال القوة لانتزاع الحقوق أو إقرارها على النحو الذي يرفع الظلم والجور ، ومن ذلك مقاومة الاستعمار واستعمال القوة لطرد المحتل واستعادة الأرض والسيادة أو استعمال العنف لردع الظلم الاجتماعي وكف أساليبه المسلطة على الشعب عندما يتعذر تحصيل الحقوق بشكل سلمي ، أما العنف غير المشروع- وهو الذي يهمنا- فهو كل استعمال للقوة للمطالبة أو

الاحتفاظ بحق مزعوم أو لانتزاع حق قابل لأن ينتزع بدون استعمال العنف [1] .

وأول حالة عنف حصلت في تاريخ البشرية كما يسجلها القرآن الكريم أدت إلى إزهاق الروح الإنسانية المقدسة هي قتل قابيل أحد أبناء آدم عليه السلام لأخيه هابيل ، وقد حكى القرآن الكريم هذه الواقعة في سياقات مختلفة ليبين أهمية الحدث في فهم ظاهرة العنف كما ركز على وصف حالة قابيل المتردية نفسيا وروحيا بعد أن لجأ إلى استعمال العنف ضد أخيه فقال تعالى : ﴿ **فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [2] .

والقرآن الكريم في هذا السياق يتكلم على العنف المستعمل بطريقة سلبية ويدينه إدانة شديدة ويتكلم عن مآلاته وعواقبه الوخيمة مثل إزهاق الأرواح والنفوس أو إلحاق الأذى بالناس أو الإفساد في الأرض . وإذا كان مصطلح "العنف" لا ورود له في القرآن فإننا في- بالمقابل- نجد ان بعض الأحاديث النبوية تتحدث عن هذا المصطلح في سياق الدعوة إلى نبذه والتحذير منه ، ففي الحديث:"

---

(١) عبد الإله بلقزيز: العنف والديمقراطية ، منشورات الزمن(ماي ١٩٩٩) ص ٢٦,

(٢) المائدة ٣٠ -٣٢.

ان الله «إن الله عزَّ وجل لم يبعثني معنفاً»[1] وفي الحديث أيضاً: «يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"[2] .

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة قصة اليهود لما قالوا : السام عليكم وردت عليهم باللعنة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :" مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش"[3] .

التطـرف:

التطرف في اللغة معناه الوقوف في الطرف بعيدا عن الوسط ، وأصله في الحسيات كالتطرف في الجلوس أو الوقوف أو المشي ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين او الفكر أو السلوك.

إن التطرف في جميع الأحوال ظاهرة مرضية تعبر عن حالة غضب واحتقان وهو مؤشر على وجود خلل ما في النفس الإنسانية او في الظروف التي تحيط بتلك النفس ، والإنسان السوي بطبيعته يرفض التطرف ويضيق بالعنف لأن الفطرة السليمة تأبى ذلك وتنفر منه.

وإذا كان مصطلح التطرف لم يرد لا في القرآن الكريم

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٢٨/٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب البر ، والإمام أحمد في مسنده ١١٢/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفاحشا.

ولا في السنة النبوية ، فقد وردت مصطلحات مرادفة له[١] تحمل نفس الدلالة وترمي إلى نفس المفهوم ، ويظهر ان مصطلح "الغلو" هو أكثر تلك المصطلحات تعبيرا عن معنى التطرف كما أنه أكثر ورودا في النصوص الشرعية وخاصة في السنة النبوية.ولما كان التطرف بعيدا عن الوسط ونقيضا له،فإن القرآن الكريم نص على خاصية الوسطية كإحدى الخصائص العامة للإسلام وأبرز المعالم الأساسية التي ميز الله تعالى بها أمته عن غيرها قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾[٢] ، فالأمة الإسلامية أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينا أو شمالا عن خط الوسط المستقيم. بيد أن القرآن الكريم والسنة النبوية تحدثا عن التطرف ضمن مصطلحات وعناوين مختلفة منها : التنطع والتشديد والتعسير والغلو في الدين وغيرها.

أ- التنطع :مأخوذ من النّطع ،وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل تعمق قولا أو فعلا [٣]. وهو بمعنى مجاوزة الحد والخروج عن حد الوسط وقد جاء في

---

(١) منها الغلو والتنطع والتشديد والتعسير.

(٢) لبقرة ,١٤٣

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٧٤,/٥

صحيح مسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:"هلك المتنطعون"قالها ثلاثا، قال النووي في شرحه للحديث : أي المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم "[1].

والملاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعمل هنا لفظة " الهلاك" كما استعملها في حديث النهي عن الغلو إشارة إلى عاقبة الغلاة والمتنطعين في أمور الدين وكفى بهذا زجرا وترهيبا . وقد يكون التنطع بمعنى التعنت في السؤال عن عويص المسائل التي يندر وقوعها حتى يفضى بالمسؤول إلى الجواب بالمنع بعد أن يفتى بالإذن ، وقد نبه القرآن الكريم على هذا الأمر ، فقال تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾**[2] .

فالنصوص القرآنية والحديثية السابقة تهدف جميعها إلى اتباع منهج التسهيل والتخفيف والبعد عن التعمق والتدقيق في فروع المسائل والقضايا حتى لا يتم تجاوز اليسر إلى العسر والخروج من السعة إلى الحرج الذي نهى الله عنه في قوله : **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾**[3] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب "هلك المتنطعون".
(٢) (المائدة ١٠١).
(٣) الحج:٧٨.

ومما لا ريب فيه ان سلوك مسلك التنطع والتعمق يدفع إلى التشديد في الأمور الصغيرة والضيق بكل مخالف فيها عكس ما تجلبه السماحة واليسر من أسباب الوفاق والوئام.

(ب) التشديد :وهو النزوع إلى ما يناقض التخفيف والتيسير وقد روى أبو يعلى في مسنده عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ** ﴾ [(١)] .

وفي حديث أبي هريرة في صحيح البخاري :" لن يشاد الدين أحد إلا غلبه" [(٢)] . وقد أنكر القرآن الكريم على أصحاب نزعة التشديد والتضييق على النفس في تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده ، فقال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [(٣)] . وجاء في سورة المائدة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ**

---

(١) الحديد، الآية: ٢٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، حديث رقم : ٢٦.

(٣) لأعراف ٣١ – ٣٢.

وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[1] .

وفي السنة النبوية الشريفة نجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قاوم كل اتجاه ينزع إلى التشديد ويميل إلى الغلو في التدين ، وقد أنكر عليه السلام على من بالغ من أصحابه في التقشف والتعبد مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال والتوسط الذي هو منهج الإسلام القويم ، ففي الصحيح عن عائشة (ض) ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فكأنهم تقالوها (أي عدوها قليلة) فقال بعضهم : لا آكل اللحم.. وقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال البعض الآخر : لا أنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "ما بال قوم يقول أحدهم كذا وكذا ، لكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[2] .

فإذا كان بعض الصحابة قد بالغ في العبادة وتشدد في الإعراض عن الدنيا فإن التوجيه النبوي واضح في التنبيه والتحذير من عدم التوازن والاعتدال في فهم الدين وتطبيقه .

---

(١) المائدة : ٨٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح حديث رقم ٥٠٦٣ .

(ج) التعسير: ومعناه جعل الأمر اليسير عسيرا والسهل صعبا، قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ (١) وجاءت الوصية النبوية العامة موجهة نحو التسديد والمقاربة وعدم مغالبة الدين فقال صلى الله عليه وسلم :" ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا.." (٢) . أي الزموا السداد وهو الصواب بلا إفراط ولا تفريط وإذا لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

الغلو في الدين:

الغلو أو المغالاة هو الزيادة والمبالغة يقول ابن تيمية رحمه الله (الغلو مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك) (٣) والمغالاة في التدين هو التشدد والتصلب في مجاوزة الحد المطلوب والمقدر شرعا، ذلك أن الله تعالى أنزل الدين وحدد فيه الوسائل والغايات وتعبد الناس بالوسائل كما تعبدهم بالغايات وبين لهم طريق العبادة وكيفية الأداء ومنهج السلوك في التعامل والتشريع ، ونصت الشريعة على أن أفضل وسيلة لعبادة الله تعالى هي الكيفية التي أمر الله

---

(١) البقرة ١٨٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، ومسلم في صحيحه كتاب المنافقين.

(٣) (اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢٨٩)

تعالى بها وشرعها لعباده لتحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة، فالخروج عن هذه الكيفية انحراف عن الدين ، والمغالاة في التدين حياد عن جادة الصواب ومجاوزة للحد الذي قدره الشارع الحكيم.

وقد جاء في النهي عن الغلو حديث ابن عباس (ضما) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين" [1] .

والمراد بمن قبلنا أهل الأديان السابقة وخاصة أهل الكتاب وعلى الأخص النصارى وقد خاطبهم القرآن بقوله: **﴿قل يَا أَهْلَ الْكتَاب لا تَغْلُوا فِي دينكُمْ غَيْرَ الْحَقّ ولا تَتَّبعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا من قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاء السَّبِيل﴾** [2] وقوله تعالى : **﴿يَا أَهْلَ الْكتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ . . .﴾** [3] .

والقصد من هذه الآيات ان يبين القرآن الكريم للناس جميعا العقيدة الصحيحة وأن يكشف العاقبة الوخيمة للغلو في الاعتقاد ، كما أراد القرآن الكريم أن يحذرنا من السقوط في هذه الشباك وأن نحرص على تصحيح عقيدتنا باستمرار في ضوء القرآن والسنة دون خبط في

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢١٥/١. ورواه الحاكم في مستدركه ١ /٤٦٦ وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٢) المائدة , ٧٧.

(٣) النساء، ١٧١.

الدين أو إفراط فيه أو تفريط.

ان من وسائل الغلو في الأحكام ان يتشدد الإنسان في تطبيقها وأن يلتزم جانب الشدة والقسوة في عبادته وسلوكه ، ويزيد فيها على ما بينه الشرع الحكيم ، ويخترع وسائل جديدة للعبادة لم يرد لها أصل في كتاب ولا سنة.

كما ان من وسائل الغلو أيضا ان يتوهم الانسان انه وحده على الصراط المستقيم وأن غيره من الناس ليسوا على شيء ، فتراه يُكَفِّرُ وَيُفَسق ويحكم على المؤسسات الحكومية وغيرها بالظلم والجور وعدم الحكم بما أنزل الله ، وقد تكون بريئة من ذلك كله أو بعضه أو معذورة في بعضه، فيلتجئ عندئذ إلى الطعن والتضليل وسوء الظن بالناس والإعجاب بالنفس ، هذا مع حداثة السن وسفاهة الحلم وقلة الفهم مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم " سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام" [(١)] . قال الحافظ ابن حجر :" أحداث الأسنان ، المراد أنهم شبابومعنى سفهاء الأحلام ان عقولهم رديئة ،قال النووي : ان التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل" [(٢)] .

ومما يلاحظ ان كثيرا من الشباب المتحمس الذي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن وأحمد في مسنده ٨١/١.
(٢) ابن حجر : فتح الباري ٢٨٧/١٢.

ينـدفع نحـو الغلو والتشـدد في كل شيء لا يصبـر ولا يطيق ذلك التغالي والمبالغة ، فيتراجع وينقص أمر تدينه وسلوكه.
وهذا مـا حذر منه الرسـول ﷺ في قولـه : «إن هذا الدين متين فـأوغلوا فيـه برفق، إن المُنبَتَّ لا أرضـاً قطع ولا ظهـراً أبقى »[1].

ولذلك وردت أحـاديث كثيـرة حذر فيهـا الرسـول صلى الله عليـه وسلم من الغلو فـي العبـادة أو التشـدد في أدائها ومنع من التطرف في العـمل بالأحكام أو الخـروج عن حدودها.

نبـذ العنف والقـوة السلبية في القـرآن والسنة :

قضـايـا ومـواقـف:

جاء القرآن الكريم والسنـة النبـوية بتشـريعات حكيمـة تمنع مسببات الخصومات والصراعات وبضوابط هادفة تحول دون اللجوء إلى الثأر باعتبـاره أسلوبا فوضـويا في الانتـصـاف واسـتـرجـاع الحق ، وتؤصل هـذه التـشـريعـات والضـوابط أيضـا للقصـاص والحدود وسيلة حضـارية عن طريق دعم مؤسسة القضـاء والفصل في الخصومات من أجل إشفـاء غليل الإنسان المظلوم بكل واقعيـة دون لجوئه إلى استخدام العنف.

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١/٣٢٤.

لا مجال لاستعمال القوة إلا بالحق:

إن المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية يتبين له أن هنالك إشارات قوية تدعو إلى نبذ العنف واستعمال القوة بالمفهوم السلبي إلا في حالة الوقوع تحت ظلم الآخر أو عدوانه ، كما انه لا إكراه على الدخول في الإسلام بالقوة ولا قتل للنفس التي حرم الله إلا بالحق.

أولا: الانتصاف من القوة بالقوة:

أمر الله عز وجل المسلمين بأن يحجموا عن استعمال القوة إلا في حالة وقوعهم تحت ظلم الآخر واحتاجوا إلى الانتصاف من قوة الآخر المسلطة عليهم بالقوة، وهذا الخيار الذي لا يلجأ إليه المسلم إلا بعد أن يقهر عليه يضبطه القرآن في مستوى المعاملة المثلية أي ضرورة استعمال القوة من أجل إلغاء حالة القوة المفروضة حتى ترجع إلى حالة التوازن. ولذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾[١].

وعندما نستعرض سبب نزول الآية نجده يوضح لنا توضيحا أكثر منهج القرآن في ضبط النفس وعدم استعمال القوة إلا في حالة الضرورة ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب لمقتل عمه حمزة الذي قُتل

(١) النحل، آية ١٢٦.

بطريقة غادرة ومُثِّل به فبكى وحزن لموته وقال في غضب :والله لأقتلن بك سبعين منهم ،لكنه صلى الله عليه وسلم لم ينفذ ما أوعد به ولم يتركه الوحي الإلهي يفعل ذلك ولكنه جاء ليؤصل ويقعد في القتال منهج وقاعدة ضبط القوة (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نصبر يا رب [١] فبين القرآن بذلك أن هناك طريقين فقط ، إما المعاملة بالمثل دون تجاوز الحد أو الصبر لكن اللجوء إلى الطريق الثاني الذي هو الصبر يبدو مفضلا ومختارا .

أما عندما لا تكون هناك ضرورة لاستعمال القوة فإن الإسلام يمنع اللجوء إلى العنف وتوظيف القوة بأي وجه من الوجوه ، ولو كان الأمر متعلقا بمجال الدعوة إلى الدخول في الإسلام ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾[٢] .

فالقرآن يدعو إلى الإيمان الذي يقوم على النظر والتأمل والاختيار بدون إرغام أو اضطهاد أو تخويف ، فالحرية الدينية -في منظور الإسلام- تنطلق من كون الدين عقيدة وإيمان وهو الإيمان الذي يقوم على الاقتناع وميل النفس واطمئنانها، لأنه استسلام وانقياد لله

---

(١) أسباب النزول للواحدي ، طبعة بيروت ١٩٨٢ ص ١٦٣.

(٢) البقرة ٢٥٥.

عز وجل.

ان العنصر العميق والحقيقي في الإنسان لا يدخل أبدا في مناط الإجبار أو الإكراه لذلك يلغي الإسلام من الناحية المنهجية كما من الناحية التصويرية أي وسيلة لإكراه الآخر لأن مجال المعالجة غير قابل للإكراه، لهذا نراه يجعل النية هي مناط المحاسبة ، (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[١] ، أي أن النية هي المنطقة المحررة من الإكراه التي لا يمكن أن نستدعي إليها العنف المادي فهي محرمة عليه،وبما انها كذلك فإنها لا تمارس اعتناقا أو اعتقادا إلا بإرادتها،ولهذا يراها الإسلام مجال المحاسبة الحقيقي، حتى العقيدة التي هي أقدس ما عند المسلم ،إذا أكره على النطق بما يخالفها فلا مجال للمحاسبة ،كما قال تعالى في واقعة تعذيب عمار بن ياسر ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ .[٢]

هكذا إذن يتأسس موقف الإسلام من إعمال القوة سلبا (العنف) بحيث يرفض ذلك انطلاقا من إدراكه للأسس الفطرية للإنسان .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، كما رواه الترمذي والنسائي وأبو داود في سننهم.

(٢) النحل ١٠٦.

ثانياً : النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق:

من التشريعات القرآنية والنبوية القائمة على نبذ استعمال العنف تجاه الآخر وتعزيز

ميزان الأخوة بين المسلمين والتعايش بينهم وبين غيرهم النهي عن الاعتداء على الأرواح سواء بالترويع أو بالقتل وسفك الدماء.

فالإسلام يحمي النفس الإنسانية أيا كانت عقيدتها أو جنسيتها أو عرقها إلا في حالة العدوان ويعتبر قتل الفرد جريمة تعادل في بشاعتها قتل أبناء الإنسانية كلها ، قال تعالى: ﴿**مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ (١) والإسلام بما تضمنه ورمى إليه من أحكام وتشريعات وما أمر به في مجال القصاص وتطبيق أحكام الحدود حمى الإنسان من العدوان عليه واستعمال العنف المؤدي إلى القتل ، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**﴾ (٢) والقصاص انما يوقع بشروط شرعية مضبوطة تضمن حق المجتمع وحق الفرد وتحمي الآمنين من شرور القتل والفتك والغدر.

وقد بلغ الإسلام في نهيه عن الاعتداء على النفوس إلى حد النهي عن مجرد ترويع وتخويف المسلم المومن

---

(١) المائدة ٣٢.

(٢) البقرة ١٧٨.

وجعله غير آمن في سربه غير مطمئن على روحه، يقول الرسـول صلى الله عليـه وسلم :" لا يحل لمسلم أن يروع مسلما"[١] وفي حديث آخر " من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة"[٢] ، فكل هذا النهي يدل دلالة قاطعة على وجوب الحد من انتقال الأمور إلى العنف ولو كان بطريقة غير مباشرة ، فالإعانة على قتل المومن

ولو بكلمة أو إشارة يعتبر إثما كبيرا ،يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا :" لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق "[٣] .

ثالثا : تصحيح مفهوم الجهاد :

إن الجهاد في الإسلام قد شرع من أجل نشر الدين ونصرة الحق ودفع الظلم وإقرار العدل والسلام والأمن وبذلك يختلف "الإرهاب" عن "الجهاد" اختلافا جوهريا في كل شيء ، في حقيقته ومفهومه وأسبابه وثمراته ومقاصده ، فالجهاد مشروع والعدوان ممنوع. والجهاد في الإسلام بمعنى القتال لا يكون إلا عند الضرورة ، ذلك أن الإسلام يعتبر الحرب جريمة وخرقا للسلام لا يقبلها إلا إذا كانت

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر) واحمد في مسنده ٢٥٦/٢.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه (كتاب الديات). حديث رقم ٢٦١٩ ، وللحديث شواهد كما في سنن الترمذي والنسائي والبيهقي وقد ذكرها المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب) ٢٩٣/٣ .وقد صحح الحديث الألباني في صحيح ابن ماجة ٩٢/٢.

لها دواع مشروعة،ولا شك ان أول آية شرعت الجهاد ربطته برد الظلم والعدوان ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (١) ، ومعنى الآية الكريمة مقدر فيه محذوف هو القتال أي أذن القتال، وهذا ما يؤكده عز وجل في قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

ويستشف من هذه الآية في إعلان واضح ومبدئي ان القرآن صريح في بيان كون الفطرة الإسلامية تنبذ العنف وتكره استعمال القوة أو الإفراط في هذا الاستعمال ، إنها فطرة مسالمة سلمية ، ومعنى هذا أن التأسيس لحكم شرعي بالمسالمة وتجنب العنف يستند على فطرة كراهية القتال مما يقوم دليلا واضحا على أن القتال حالة استثنائية في الإسلام.

ان الإذن بالقتال نزل في سياق الدفاع والاقتصاص وهذا هو الشرط الوحيد والظرف الاستثنائي الذي يجيز فيه الإسلام استعمال القوة ، فهو يجيزها لمواجهة القوة ، انه استعمال أسلوب الردع لمواجهة الاعتداء، مما يعني ان

---

(١) الحج : ٣٩ – ٤٠.

(٢) البقرة ,٢١٦

استعمال القوة في الجهاد حالة اضطرارية تتوقف فور توقف دواعيها ، قال تعالى : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وجواب الشرط هنا بالفاء الملزمة بالفور والسرعة والعجلة، فبمجرد ما يكف العدو عن الاعتداء على المسلم أن يتوقف فورا عن عملية رد هذا الاعتداء ، فهذا عهد سلم لكف الأذى المتبادل يأمر القرآن بتبنيه.

وقد اتفق فقهاء المسلمين على أن الجهاد بالمعنى الاصطلاحي الفقهي لا يكون إلا ضد الكفار الذين لا تربطهم بالمسلمين معاهادت ولا يعيشون بين المسلمين بعلاقات الذمة.

وهؤلاء الكفار على قسمين:

أ) أهل الكتاب ، إذ لا سبيل إلى إعلان الجهاد عليهم طالما ان هناك معاهدات دولية تربطنا بهم ولم يقدموا على غزو بلادنا، ولا إلى الإخلال بالمعاهدات التي بيننا وبينهم.

ب) المشركون،ويقصد بهم:من يعبدون غير الله كالأصنام والنار والكواكب وغيرها، هؤلاء بيننا وبينهم فواصل كثيرة ونرتبط ببعضهم بمعاهدات ومواثيق تمنع قيام حرب جهادية ضدهم، لكن إذا تم نقض تلك المعاهدات فإننا لا نمنع من قيام حرب ضدهم.

وأما المسلمون وهم كل من شهد الشهادتين ولم ينكروا ضروريا من ضروريات الدين، فإن هؤلاء جميعا مسلمون

وهم جزء من الأمة الإسلامية بالمعنى السياسي- الاجتماعي.

ولا يشرع الجهاد -بالمعنى المصطلح عليه- ضد المسلمين بأي وجه من الوجوه [١].

أما الأجانب غير المسلمين الموجودون في البلاد الإسلامية بإجازات دخول وإقامة عمل من قبل حكومات البلاد الإسلامية فإنه ينطبق عليهم ما ذكره الفقهاء جميعا وأجمعت عليه المذاهب الإسلامية من كونهم (أهل العهد وأهل الأمان وأهل الذمة) وهم ليسوا بهذا الاعتبار موضوعا للجهاد قطعا [٢]. وإنما ينبغي شرعا حمايتهم وحفظ أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من كل أشكال العنف ضدهم أو الاعتداء عليهم، إذا التزموا ببنود المعاهدات التي بيننا وبينهم.

من جهة أخرى فإن القرآن الكريم عندما يتحدث عن ضبط العلاقات مع الآخر يحددها تحديدا عمليا قائما على محدد واحد وهو درجة استعماله للعنف، قال تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم**

---

(١) د عمر عبد الله كامل :المتطرفون ط الأولى بيروت ٢٠٠٢ ص ٢٠٩ .

(٢) قال النووي في المجموع ٤٣٧/١ : (...فيجوز للكافر ان يقيم فيها -يعني سائر بلاد المسلمين بعهد وأمان وذمة .) أما بصورة دائمة فهو جائز في كل بلاد المسلمين سوى جزيرة العرب، وأما بصورة وقتية فجائز في كل بلاد المسلمين سوى الحرمين اللذين لا يجوز المرور بهما فضلا عن الإقامة.

مّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ﴾ [1].

بل حتى في حالة القتال كحالة اضطرارية فإن الإسلام يضبط الأخلاق المصاحبة له ويشدد عليها مثل النهي عن قتل النساء أو الأطفال أو الشيوخ أو الأسرى ومراعاة البيئة وعدم التشهير والتنكيل بجثث القتلى ، فالمسلمون مأمورون بالإحسان حتى في حالة الاضطرار إلى القتال ومأمورون بالرفق حتى في حالة استعمال القوة.

هكذا نرى إذن ان النصوص الشرعية تتحدث عن القوة والحرب والجهاد باعتبارها كرها لنا وحالات استثنائية ودفاعية واضطرارية، وهو يقيدها بكل الاحتياطات والضوابط الإنسانية المشروعة.سواء تعلق الأمر بجهاد الدفع أو بجهاد الطلب.

رابعا : لا عنف تحت راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قطب عظيم في الدين ، وقد بعث الله به النبيئين ، ولو طوي بساطه في أي عصر لاضمحلت الديانة وظهر الفساد ولخربت البلاد ولفتن العباد ، ولذلك بلغت النصوص التي أوجبت الأمر

---

(١) الممتحنة ٨ – ٩.

بالمعـروف والنـهي عن المنكر مـبلـغ القطـع ، ومن ذلك قـوله تعالـى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [1] .وقوله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [2] .

وقـال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم (من رأى منكم منكرا فليـغيره بيده فإن لم يسـتطع فبلسانه فإن لم يسـتطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان [3] .

استنادا إلى هذه النصوص القطعية وغيرها فإن الأمر والنهي مبدأ لا يماري فيه مومن ، لكن من حيث فهم المبدأ أو تطبيقه فإن الاستدراك أو التصحيح ينبغي أن يكون، خاصة وأن كثيرا من أعمال العنف والإرهاب والتطرف التي يمارسها بعض من ينتسبون إلى الإسلام انما ترتكب تحت مظلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسوغ العنف الدامي بمسـوغ الأمـر والنهي ، وقـديما مـارس الخـوارج والمعتزلة العنف باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حين ان كلتا الطائفتين قد شردتا عن هدي المنهج في الأمر والنهي ، فـأي أمـر هذا الذي يؤدي إلى سـفك الدمـاء

---

(١)آل عمران : ١١٠.

(٢) آل عمران : ١٠٤.

(٣) صحيح مسلم (كتاب الإيمان).

المعصومة وأي نهي هذا الذي يؤدي إلى منكر أشد وأغلظ.

ولما كانت هذه قضية دقيقة شائكة فإن علماء الإسلام سدا للذرائع ومنعا للفتنة ضبطوا الأمر بضوابط محددة ووزنوا الأحكام المتعلقة بالموضوع بميزان المنهج الحق حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها ولئلا تقع فتنة باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول ابن تيمية رحمه الله:"إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات والمستحبات، فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة ، إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد.. ولهذا قيل : ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر ، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به.." [(١)] وإنه بتتبع محطات كثيرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يتبين لنا بوضوح وجلاء كيف كان المنهج النبوي في استعمال اللين والرفق والتسامح في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درءا للمفاسد وجلبا للمصالح.

فعن أبي موسى الأشعري قال :" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال : "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا" [(١)] وقال صلى

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٢٦/٢٨.

الله عليه وسلم :" ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان العنف في شيء إلا شانه"[2] ، وقال :" ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف"[3] وجاء في الأثر عن بعض السلف قوله :" لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به ، فقيها فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه"[4] .

لذلك كان لا بد من هذه الأركان الثلاثة : العلم والرفق والصبر ، العلم قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرفق معه والصبر بعده[5] ، وهذه الأركان ثلاثتها تتنافى واستعمال العنف والشدة والتطرف في توظيف مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتدل بالمقابل على مظاهر السماحة واليسر واللاعنف.ويبقى الأمر منوطا بمدى اقتضاء المصلحة لذلك ، لكن إذا كانت الحكمة والمصلحة تقتضيان الشدة والحزم فهي عندئذ تكون مشروعة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم) واحمد في مسنده ٢٩٩/٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق حديث رقم ٢٥٩٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الاستتابة) ومسلم في صحيحه (كتاب السلام).

(٤) فتاوى ابن تيمية ١٣٧/٢٨.

(٥) يؤكده قوله تعالى(وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور).

خامسا: وسطية الإسلام منافاة للتطرف ومجافاة للغلو في الدين:

لا شك أن الإسلام نظام اجتماعي متكامل ، ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بالكون وعلاقة الإنسان بالآخر ، تقوم في أساس بنائه العقيدة وتتولى الشريعة التنظيم على مختلف المستويات ،ويطبع كل ذلك مبدأ الوسطية كتوازن داخلي وسلوكي ناتج عن توازن السنن ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1] .

ان الوسطية الإسلامية عدل وتوازن ، ومرونة واعتدال،يقابل من جهة بتطرف المغالاة والتشدد، ومن جهة ثانية بتطرف الانحلال ، وكلا التطرفين مدان في الإسلام، ومن معاني الوسطية التي وصفت بها الأمة في الآية الكريمة معنى العدل، وتفسير الوسط في الآية بالعدل مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الوسط هنا بالعدل[2] والعدل والتوسط والتوازن عبارات متقاربة المعنى ، فالعدل يدل على التوسط بين الطرفين المتنازعين دون ميل أو تحيز إلى أحدهما ، وهو بالتالي ضد التطرف والمغالاة.

---

(١) البقرة ,١٤٣.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) حديث رقم ٤٤١٨.

والوسطية تعني أيضا الاستقامة أي استقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف والتطرف ، لأن ما كان مستقيما (الصراط المستقيم) لم يكن مائلا أو منحرفا ، ولذلك جاء وصف الصراط المستقيم في سورة الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) كموقف وسط بين تطرفين ، تطرف المغضوب عليهم الذين هم اليهود وتطرف الضالين الذين هم النصارى. واليهود حادوا عن الصراط المستقيم بقتلهم الأنبياء والغلو في التحريم والنصارى حادوا عن الصراط المستقيم بتأليه الأنبياء والتطرف في التحليل.

من جهة أخرى نجد أن وسطية الإسلام تتلاءم مع الفطرة الإنسانية التي تنبذ الغلو والمبالغة والتطرف في كل شيء ، فلا إعنات ولا مشقة ولا إحراج في تعاليم الإسلام وأحكامه، كلها سواء منها أحكام العقائد و العبادات والمعاملات ونظام الأسرة وجميع التكاليف الشرعية . يقول الإمام الشاطبي :" إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع واليقين وقد سمى الله هذا الدين الحنيفية السمحة لما فيه من التسهيل والتيسير "[١] . انها وسطية ترتكز على ما يلائم الطبع الإنساني عقلا ووجدانا وجسدا ، فليس الإسلام دينا يضغط على النفس ويكلفها

---

(١) الموافقات : ١/٢٤٠..

مـا لا تطيق، وهـو لا يقـاوم التطرف في الماديات بالتطرف في الـروحـانيـات وإنما جـاء ليـضع التـوازن بين الفطرة والتكاليف الشـرعيـة ، وهـذا هو مـعنى حـديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم :" خذوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا" [1] .

ان الوسطيـة الإسـلامـيـة تنبض بروح الاعـتـدال والانتـصـاف والتـوازن وتنفـر مـن كل تطرف أو غلو في أي مـجـال من مـجـالات الحـيـاة الـدينيـة والدنيـوية سـواء كـان اعتقادا أو عبادة أو طاعة أو سلوكا فهي تحقق الملاءمة بين الفطرة والتكاليف على نحو يحفظ للنفس نشـاطها وإقبالها على الطاعة ويرعى لها حقوقها من غير إفراط أو تفريط.

لكن هذا المفهوم للوسطيـة الإسلامية المنافية للتطرف والمجافية للغلو في الدين لا يمكن تحقيقها في واقع الحياة بالنسـبـة للمـجـتـمع الإسـلامي إلا إذا صـدرت عن التـزام أخلاقي لدى الإنسـان المسلم يصبح معه السلوك الوسطي فعلا تلقائيا في ذاته وعقله وضميره وجوارحه ،ومعنى هذا أن يكتسب المؤمن من عقيدته الصحيحة الانفعال السليم بحقـائقها ودوافعها وقيمها التي تنهاه عن الانحراف عن خط الوسط والميل إلى التطرف والغلو.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الصوم) واحمد في مسنده ٢/٢٣١.

إن التزام النفس المؤمنة بوسطية الإسلام هو وقوفها مع العدل وإيثارها للإحسان في غير تخاذل أو مهانة أو مداهنة ، وهذا ما تفرضه طبيعة التعايش الإنساني فتجعل من أوكد شروطه إقامة الحوار مقام التنابذ بالعداء والدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة بدل العنف والقمع [1] .

---

(١) مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي ، طبع وزارة الأوقاف المغربية ١٩٩٠م ص ٣٦٤.

أبيض

الفصل الثاني:

عندما يُتَّهم الإسلام بالإرهاب

أبيض

لقد تبين أن هنالك مزاوجة تلقائية تقرن الإسلام بالإرهاب وتصف المسلمين بالإرهابيين ، وأصبحت كلمة "إرهاب" كلمة "نجما" يحلو لكثير من الغربيين -الإعلاميين منهم على وجه الخصوص -استعمالها وتوظيفها بخصوص إلصاق التهمة بالإسلام وتحويل المسلمين إلى مصدر رعب وتخويف للغرب ، ومثل هذه الاتهامات كفيلة بأن تجعل من دعوى "الإرهاب الإسلامي" ورقة رابحة تسخر في أكثر من واجهة مصلحية تحقق بها دعايات سياسية وضغوط اقتصادية تهدف جميعها إلى إذكاء وتكريس سياسة التخويف والترويع من الإسلام ، وبذلك يستأثر الغرب بحكم قوته سياسيا وإعلاميا واقتصاديا بفرض مفهوم خاص حول الإرهاب ، في غياب مفهوم دولي مشترك للإرهاب يتم الاتفاق حوله من طرف جميع الدول والهيئات والمنظمات الدولية..

كلنا ضد الإرهاب ، ولكن .. ما هكذا تورد الإبل.

لا شك ان الاعتداءات التي أصابت امريكا في قلب اقتصادها الرأسمالي يوم ٢٠٠١/٠٩/١١ تعتبر عملا شنيعا لا يملك المرء إلا أن يستنكره ويدينه ، ويتأسف على وقوعه خاصة وأن عدد الأبرياء الذين لقوا حتفهم في مجموع التفجيرات يُعد بالآلاف، ولقد عبرت مختلف دول العالم الإسلامي عن إدانتها لما حدث على اعتبار أن قتل النفوس

البريئة مهما كان دينها أو عرقها أو جنسيتها يعتبر إجراما في حق الإنسانية.

وهذا الموقف المتسامح المعبر عنه بالإجماع إنما تمليه بقوة تعاليم ديننا الحنيف التي تحث على حقن النفوس وعدم قتلها بغير ذنب ، فالإسلام يحمي النفس الإنسانية أيا كانت عقيدتها او جنسيتها إلا في حالة العدوان .ويعتبر قتل الفرد جريمة تعادل في بشاعتها قتل أبناء الإنسانية كلها ، قال تعالى ﴿ **مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾[1] والإسلام بما تضمنه ورمى إليه من أحكام وتشريعات وما امر به في مجال القصاص وتطبيق أحكام الحدود حمى الإنسان من العدوان عليه وقتله. والقصاص إنما يوقع بشروط شرعية مضبوطة تضمن حق المجتمع وحق الفرد وتحمي الآمنين من شرور القتل والفتك والغدر.

وإذا كان الأمر واضحا بالنسبة لموقف المسلمين من الإرهاب والعنف وهو الموقف المعبر عنه في كل مناسبة يقع فيها اعتداء على النفوس وإجرام في حق الآمنين ، فإنه من الظلم أن يُنظر إلى الإسلام كدين يعتنقه خمس سكان العالم بأنه يحث على العنف ويؤمن بالإرهاب وأن المسلمين إرهابيون بالفطرة لا لشيء إلا لكون فئة منهم قد تكون

---

(١) المائدة : ٣٢ .

اعتدت وتهجمت على مجموعة من أبناء جلدتهم.

والغريب في الأمر ان أحداث أمريكا قد أبانت عن حقيقة الصورة التي يشكلها الغربيون عن الإسلام والمسلمين ، ومهما حاول كل زعماء ورؤساء المنظمات والهيئات الإسلامية إدانة الأعمال الإرهابية كيفما كانت ، ومهما سعى كثير من رؤساء الدول الغربية إلى المسارعة إلى تحذير مواطنيهم بأنه لا يجوز الخلط بين الإسلام والإرهاب فإن الصورة العامة التي تكونت في أذهان الغربيين عن الإسلام تعتبر سلبية ونمطية إلى أقصى حد ، وعندما صرح الرئيس الأمريكي بأن الحرب التي تشنها أمريكا ضد الإرهاب ليست موجهة ضد الإسلام فإننا كنا نتمنى ان تكون هذه هي الحقيقة ، ولكن للأسف الشديد فإن وقائع متعددة وشواهد كثيرة عن وقوع مضايقات واستفزازات وحالات تهديد المسلمين بالقتل، تدل كلها على ان المسلمين المقيمين في الديار الغربية قد طالهم جانب من الحرب المعلنة.

وهكذا لم يكن هناك أدنى شك لدى المهتمين والمتتبعين لتطورات صورة الإسلام في الغرب أن التفجيرات التي أصابت رموز القوة المالية والعسكرية في امريكا سوف يتمخض عنها انتعاش جديد لروح الكراهية والحقد ضد العرب والمسلمين ، مثل ما وقع قبل عشر سنوات عندما

لجأ الأمريكيون في حادث أوكلاهوما عام ١٩٩٥ -وبصورة تلقائية وعفوية- إلى اتهام جهات عربية وإسلامية بضلوعها في الحادث ، وذلك قبل ان تسفر التحقيقات على ان الجاني الحقيقي كان هو المواطن الأمريكي تيموثي ماكفي الذي تم إعدامه في وقت لاحق.

وبعد مرور أيام معدودة على وقوع الهجوم في أمريكا توافرت قصاصات عديدة وتنامت إلينا جميعا أخبار متفرقة من أمريكا ودول غربية أخرى مفادها أن كثيرا من العرب والمسلمين كانوا ضحية مضايقات وممارسات استفزازية من قبل مواطنيهم الغربيين كما أن بعض المساجد والمراكز الإسلامية ومواقع الانترنت لبعض المنظمات والهيئات الإسلامية المقيمة في الديار الغربية قد تم الاعتداء عليها من خلال اتهام المسلمين بالوقوف وراء الأحداث المروعة الأخيرة.

ومن خلال التأمل في مجموع المواقف الغربية التي تم تكريسها تجاه الإسلام والمسلمين أمكن إفراز ثلاثة مواقف رئيسية هي : الموقف الرسمي والموقف الشعبي والموقف الإعلامي.

أما الموقف الرسمي الذي أنضجته مجموعة تصريحات رؤساء الدول والحكومات وبعض المنظمات الحكومية الغربية فهو موقف إيجابي عبر عنه كثير من

كبار المسؤولين الغربيين الذين سارعوا إلى طمأنة المنظمات الإسلامية وإبداء تفهمهم لتخوفات الجاليات الإسلامية المقيمة على أراضيها فعبروا عن تعاطفهم معهم من خلال التأكيد على أن الإسلام بريء من كل أشكال العنف أو الإرهاب وأنه دين السلام والأمان والتسامح وانه لا يمكن اتهام او مؤاخذة عموم المسلمين بجريرة واحد أو مجموعة ممن ينتسبون إليهم قد يثبت ضلوعهم في الهجوم الأخير. بل إن من رؤساء الدول من حذر مواطنيه من مغبة استفزاز المسلمين أو الاعتداء عليهم ، وتوعد بملاحقة وعقاب كل من كان وراء شكل من أشكال الاضطهاد والمضايقة في حق المواطنين المسلمين. والذي يجدر الانتباه إليه هو أن الموقف الرسمي ينطلق من خلفية تحقيق مصالح استراتيجية تهم المحافظة على العلاقات التقليدية مع معظم الدول الإسلامية ، وفي سياق الأحداث الأخيرة بأمريكا لم يكن من المعقول أو المنطقي أن تطلب الولايات المتحدة من مجموع دول العالم الإسلامي التحالف معها لاقتلاع جذور الإرهاب ثم السعي إلى اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب والعنف . وإذا كانت السياسة كما يقال ليست صداقات دائمة ولا عداوات دائمة وإنما مصالح دائمة، فلابد من قراءة الموقف الرسمي الغربي بناء على كونه يهدف إلى مراعاة مصالح سياسية معينة ويستشعر مدى غيرة

المسلمين حكاما وشعوبا أكثر من غيرهم على دينهم وحرصهم على تصحيح صورته وتبديد كل تهمة أو افتراء أو بهتان قد يوجه إليه من غير المسلمين.

أما الموقف الشعبي الذي أفرزته الأحداث الأخيرة بالولايات المتحدة فقد بدا واضحا ومعبرا بقوة عن الصورة السلبية التي لا زال الغربيون ينظرون بها إلى الإسلام ، حيث ما إن انقضى أسبوع على الأحداث بنيويورك وواشنطن حتى تناقلت وكالات الأخبار نبأ وقوع عشرات من حالات الاستفزاز والمضايقة للعرب والمسلمين المقيمين في الديار الغربية خاصة في أمريكا ، فقد قتل خمسة أشخاص على الأقل بدوافع عنصرية انتقامية وتم إلقاء زجاجات حارقة على بعض المساجد والمراكز الإسلامية وتم تهديد كثير من سائقي سيارات الأجرة وأصحاب المتاجر والمحلات من المسلمين. حتى مواقع الانترنت والبريد الإلكتروني لكثير من الشخصيات والمنظمات الإسلامية في أمريكا وأوربا لم تخل بدورها من التشويش وبث عبارات السب والشتم والتهديد بالقتل واتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب والعنف. وقد أبان كل ذلك عن أن موقف أبناء الشعوب الغربية من الإسلام والمسلمين لا يزال موغلا في السلبية وعدم الفهم الصائب لحقيقة الإسلام وتوجهات المسلمين. ويبدو أن ثمرة محاولات تصحيح صورة الإسلام

لدى الغربيين التي قامت بها هيئات إسلامية عديدة قد أخذت تتراجع بفعل الأحداث الأخيرة التي ما كادت تقع حتى توجهت أصابع الاتهام إلى المسلمين بالرغم من أن التحقيقات لم تكن ناجزة وتامة آنئذ.

أما الموقف الإعلامي الذي يعتبر ثالث ثلاثة مواقف غربية أفرزتها أحداث أمريكا فهو أكثر سلبية من الموقف الشعبي ، بل الواقع يؤكد انه هو الذي يغذي الموقف الشعبي ويمده بالأفكار المغلوطة والآراء السلبية عن الإسلام والمسلمين كما أنه -وإلى حد ما- لا تأثير للموقف الرسمي الإيجابي الذي سبقت الإشارة إليه في توجه الموقف الإعلامي الغربي العدواني . والمرء المتتبع لأحداث ١١ أيلول الماضي في بعض الفضائيات والصحافة الغربية لا يملك إلا ان يندهش ويستغرب للصورة القاتمة والفظيعة التي شكلها الإعلام الغربي بشقيه المرئي والمكتوب عن الإسلام والمسلمين ، بل إن كل من واكب تداعيات الأحداث لا تفوته ملاحظة نوع من التنافس بين مختلف وسائل الإعلام الغربية من أجل التركيز المغالي على كل ما قد يبدو غريبا في الإسلام من جهة ومظاهر حياة المسلمين من جهة أخرى حسب زعم الغربيين .

إن مختلف النشرات الإخبارية الغربية لا تخلو من تحقيقات واستطلاعات متتالية تتضمن مشاهد ولقطات

عديدة تعبر عن صور كاريكاتورية عنصرية ومهينة للإسلام والمسلمين الذين يغلب أن يمثلوا جميعا في صور وأطر نمطية لا ترتكز على أي أساس، وهي صور سلبية تطابق ما تعتبر قطاعات واسعة من المجتمعات الغربية (الموقف الشعبي) أنه هو كذلك.

إن الذي يمكن تأكيده بقوة -في هذا السياق- هو أن الإعلام الغربي في نظرته العدوانية تجاه الإسلام قد نجح إلى حد ما في تأليب الرأي العام الغربي ضد الإسلام والمسلمين وساهم إلى حد كبير في الترويع والتخويف من الإسلام عن طريق تشويه صورته الناصعة واتهام المسلمين بالعنف والإرهاب . وهكذا يتضح جليا ان الإعلام الغربي في استغلاله للأحداث المروعة التي وقعت بالولايات المتحدة الأمريكية قد استطاع أن يجعل الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين راسخة في أذهان المواطنين الغربيين اكثر من أي وقت مضى مما نجم عنه تنامي حالات الاضطهاد والاستفزاز لأبناء الجاليات الإسلامية وتعاظم موجات الكراهية والحقد للإسلام كدين لا زال الكثير من الغربيين -للأسف الشديد- يعتقدون انه يشجع على العنف ويحرض على قتل الأبرياء .

لقد أصبحت هنالك مزاوجة تلقائية وعفوية تقرن الإسلام بالإرهاب وتصف المسلمين بالإرهابين، والمفارقة

الغريبة في تعامل الإعلام الغربي مع موضوع الإرهاب، انه إذا تم الاشتباه في قيام عرب أو مسلمين بأعمال عنف فإنهم إرهابيون مسلمون ، فيقرن بذلك إرهابهم بإسلامهم -وذلك بصورة تلقائية - لكن عندما تكون هنالك اعمال عنف يرتكبها غربيون في (إيرلندا -الباسك-وغيرها) فإن إرهاب هؤلاء لا يقرن بأديانهم ، فليس هناك إرهابيون بروتستانت (منظمة إيرا الانفصالية بإيرلندا) أو إرهابيون كاثوليك (في إقليم الباسك بإسبانيا) .

إن المسلم الغيور على دينه ليزداد غيظا ويستشيط غضبا عندما يلاحظ ان العنصرية الغربية تطال حتى ميدان الإرهاب ،فليس مفهوما ان يكون المسلم وحده من دون كل البشر هو الذي تذكر هويته الدينية وليس القومية إذا قام بعمل عنف شنيع، فالصرب ارتكبوا كل ما لا يخطر على البال من مذابح وجرائم ضد الإنسانية ولم ينعتهم أحد بالإرهابيين الارثودوكس وبعد الذي فعله الروس في الشيشان لم يقل أحد بأن تلك الجرائم اقترفها أرثودوكس كما ان أحدا لم يذكر طيلة نصف قرن من الزمن ان النازيين بأفعالهم وجرائمهم كانوا بروتستانتا ولا ان الفاشيين في إيطاليا كانوا كاثوليكا .إن الذي يبدو واضحا أن إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين يعطي للحدث نكهة خاصة لدى الغربيين ويحلو لوسائل الاعلام الغربية

المختلفة النفخ بقوة في عملية المزاوجة الباطلة بين الإسلام والإرهاب . ففي أحداث امريكا الأخيرة لم يتردد أي مسؤول غربي -ومباشرة بعد وقوع التفجيرات الرهيبة - في الاقتناع التام بان الذي يقف وراء ذلك عرب مسلمون ، وانتقل هذا الاقتناع بصورة سريعة إلى الإعلام الغربي بكل مكوناته. وهذا الذي نود تاكيده يُذكرنا بحادث أوكلاهوما عام ١٩٩٥ عندما جازف المحقق الفدرالي بعد خمس ساعات فقط من وقوع حادث التفجير لكي يصرح بان المشتبه فيهم ثلاثة من بينهم اثنان بملامح شرق أوسطية.

ولا داعي للتذكير بهذا الصدد -أنه إذا كان حادث اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي قد بقي غامضا لحد الآن ولم يهتد الأمريكيون بعد قرابة أربعة عقود إلى الجاني الحقيقي فإن الذاكرة الشعبية الأمريكية اهتدت في بضع ساعات -وقبل الشروع في التحقيق- إلى أن الفاعلين في احداث نيويورك وواشنطن عرب مسلمون. إننا لا ندافع عن أي من الإرهابيين الذين يغدرون بالنفوس البريئة أيا كانت أصولهم وجنسياتهم ولكننا ندين طريقة الاتهام التلقائي والعفوي قبل إجراء أي تحقيق وبحث ، من جهة أخرى فانه ليس من المعقول ان تحاكم امة بأسرها وأتباع دين سماوي عن بكرة أبيهم لمجرد ان بعض المنتسبين إلى تلك الأمة أو ذلك الدين اتهموا في جريمة ما . كما أنه

ينبغي على عقلاء الغربيين ومنصفيهم أن يبحثوا عن أسباب حدوث أعمال العنف والتطرف التي يقف وراءها ثلة من العرب والمسلمين ، فالاستكبار الغربي وما ينجم عنه من ظلم واعتداء على حقوق وثروات أبناء العالم الإسلامي ومناصرة ودعم الاحتلال الإسرائيلي ،كل ذلك يدفع إلى صنع مواقف عدوانية تستهدف المصالح الغربية.

إن المسلمين إذا كانوا يدينون الأعمال الإرهابية أيا كان مقترفها ومجترحها انطلاقا من تعاليم دينهم السمحة ومبادئه السلمية الداعية إلى إشاعة الأمن والأمان والسلم والسلام للمجموعة البشرية جميعها لا لجنس فيها أو لأتباع عقيدة معينة فإنهم لا يقبلون بتاتا أن يتم اتهام الإسلام بأنه يغذي لدى أتباعه نزعة العنف والإرهاب ، أو أن تعاليمه وأسسه الدينية تتضمن دعوة إلى الترويع أو القتل بغير حق.

أبيض

تعريب الإرهاب إلى أين؟

لا يخفى على كل مهتم ومتتبع لمسار تكوين صورة الإسلام المشوهة في الغرب وبروز ظاهرة الكراهية والخوف من الإسلام (الاسلاموفوبيا) أن عملية تعريب الإرهاب (جعله عربيا) وأسلمته (إرجاعه إلى اصل إسلامي) تعتبر أبرز معالم تلك الصورة التي ازدادت قتامة وسلبية في الآونة الأخيرة . لقد بدأت في الخطاب الإعلامي الدولي الغربي -ومنذ ثلاثة عقود من الزمن- عملية دعائية شاملة استهدفت من بين ما استهدفته إقناع الإنسان الغربي بمزواجة تلقائية تقرن الإسلام بالإرهاب وتجعل العرب أكثر الشعوب والأمم تَوقًا إلى إرهاب الآخر وتخويفه.

وقد بلغت هذه العملية ذروتها منذ عشر سنوات تقريبا أي غداة انهيار الاتحاد السوفياتي البائد وسقوط الكتلة الشيوعية اللذين كانا يعتبران بؤرة المواجهة والعدواة مع الغرب ، وبفقدان ذاك العدو لم يستطع الكيان الغربي الاستمرار دون عدو يواجهه ويناصبه العداء ، فكان العالم العربي والإسلامي هو البديل الأنسب.

ويعتبر إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين أبرز سلاح يوظفه الغرب في مواجهة العالم العربي والإسلامي في سبيل إذكاء روح الخوف والتوجس منه بهدف إقصائه

من الساحة الدولية وتقليص درجة التعاطف معه ومستوى التعامل معه. ونتيجة ذلك أضحى الوطن العربي الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الإعلام "شيطنة العدو" أي تحويل العرب والمسلمين إلى شر مستطير وإلى مصدر رعب وتخويف للغرب.

ولم يكن الباحثون والخبراء الاستراتيجيون المعاصرون أول من بحث ظاهرة الإرهاب الدولي في محاولة منهم لربطها بالعالم العربي والإسلامي ، بل سبق هؤلاء حفنة من المستشرقين الأكاديميين المهتمين بالقضايا المعاصرة للإسلام السياسي ويأتي على رأس هؤلاء برنارد لويس Bernard Lewis الذي يعتبر أحد أبرز المستشرقين الأمريكيين المعاصرين ممن عرف بتنظيره لفكرة " الإسلام العنيف" ،وهو يسعى في جميع كتبه عن الإسلام إلى تصوير العرب والمسلمين أناسا يشتاقون إلى دم الآخر ويعشقون الحروب ويحبون حمل الخناجر والسيوف معهم ، ونظرا لباع الرجل الطويل في دراسة التاريخ الإسلامي ونبش ما استتر وخفي من حلقاته ، فإنه مولع بالوقوف طويلا أمام المعارك والغزوات الإسلامية ومحطات الانشقاقات والفتن ، يقلب في وثائقها وحولياتها من اجل اكتشاف ما يخدم فكرته ويسهم في نسج نظريته الرامية إلى دمغ الإسلام بكونه يحمل بذور العنف والإرهاب ونعت

المسلمين بأنهم ينتعشون وتظهر شوكتهم حيثما يعشعش العنف والإرهاب.

وهذا المستشرق اليهودي الأصل المؤمن بالحركة الصهيونية يعلم جيدا كيف أن التاريخ المعاصر لم يشهد إرهابا دوليا مورس في حق الآخرين مثل الإرهاب الذي مارسته إسرائيل الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني على مدى عقود طويلة من الزمن ، ولذلك فرغبة منه في تضليل الرأي العام الدولي وجعل الأنظار تلتفت بعيدا عن إسرائيل قضى سنوات طويلة يبحث عن النصوص التاريخية والوثائق الأرشيفية التي قد تسعفه في تكوين خيوط نظريته الواهية .

إن مما لم يعد خافيا على أحد أن الإرهاب الدولي في التاريخ المعاصر إسرائيلي المنشأ صهيوني التوجه، وقد سبق لعالم اللسانيات الأمريكي اليهودي الأصل نعوم تشومسكي أن بين في كتابه "حضارة الإرهاب " أن الإسرائيليين هم الذين دشنوا الإرهاب في الشرق الأوسط وحرصوا على إبقاء جذوته مشتعلة باستمرار ، ويدعم المؤلف نظريته بالأدلة التاريخية الدامغة . فأول حادث اختطاف طائرة في الجو هو اختراع إسرائيلي حيث انه في شهر ديسمبر من عام ١٩٥٤ قامت المقاتلات الإسرائيلية بالتعرض لطائرة مدنية سورية وأرغمتها على الهبوط في

مطار إسرائيل ، وقد اعتبر هذا الحادث آنذاك صورة واقعية لإرهاب اختطاف الطائرات الذي لم يكن معروفا من قبل.

ويذكر تشومسكي أيضا العمليات الإرهابية المتمثلة في المذابح الإسرائيلية المبرمجة ضد الفلسطينيين وبمعسكرات الاعتقال الشهيرة وباستعمال قنابل النابالم وبقيام السفن الإسرائيلية بعمليات اختطاف السفن في عرض البحر .

إلا أن المفارقة في كل هذا أن الإرهاب الإسرائيلي لا يكاد يتحدث عنه في الخطاب الإعلامي الغربي أو من قبل الحكام والساسة الغربيين ، فالإرهاب حسب شروط الخطاب الإعلامي الغربي يقتصر على التذكير والتنبيه إلى عمليات الإرهاب التي يقوم بها العرب فقط وليس اليهود. ومهما حاولت دوائر مخابراتية وسياسية غربية تعريف الإرهاب بصيغ تهدف جميعها إلى التعميم فإن تلك التعريفات الفضفاضة تسمح للإعلام الغربي وأصحاب القرار بأن تطبق بانتقائية مفرطة تسمح بالربط بين الإسلام والعروبة والإرهاب . ولابد من الاعتراف بان الخطاب العنصري في هذا المجال قد نجح إلى حد كبير في التأثير على الرأي العام الغربي وقولبته وإقناعه بأن الإرهاب مصدره عربي وبذوره إسلامية وتوجهه هو ترهيب الغربيين وترويعهم ، وبذلك أضحى العرب والمسلمون

يواجهون تهمة خطيرة تشوه سمعتهم وتُمَيِّع صورتهم، وهي الصورة التي عمل الإعلام الغربي بكل مكوناته من صوت وصورة وكلمة وحتى الكاريكاتور على التضخيم منها وجعلها ورقة رابحة تسخَّر في أكثر من واجهة من أجل تحقيق مصالح اقتصادية معينة وسياسية على وجه الخصوص ، إذ لا يخفى على أحد أن الإرهاب الإسرائيلي مثلا يتم إغفال وتجاوز الحديث عنه في ظل اتهام متواصل وتأكيد صارخ على أن الفلسطينيين إرهابيون جميعا وذلك كلما حدثت عملية فدائية ترمي إلى مقاومة المحتل وإخراجه من الأراضي المغتصبة ، وفي ذلك تمويه وتضليل للرأي العام الدولي الذي كان إلى وقت قريب مقتنعا بشبح الإرهاب الذي يتقمصه الفلسطينيون دون أدنى محاولة للتمييز بين الإرهاب ومقاومة المحتل .

إن الانحياز الصارخ في نظرة الغربيين إلى الإرهاب قد غدا أمرا واضحا لا غبار عليه ، وفضلا عن خلطها بين الإرهاب والكفاح القومي والوطني فإن نهج أسلوب الانتقاء والتمييز في دمغ الشعوب والدول بنعت الإرهاب قد أضحى أمرا باديا وجليا لكل متتبع حصيف . إذ كيف يعقل أن لا توصف عمليات الاغتيال وتفخيخ السيارات ضد الزعماء السياسيين الإسبان من طرف منظمة الباسك الانفصالية بالإرهابية وهي منظمة تسعى إلى فصل جزء

من البلاد الأسبانية عن مدريد في حين توصف العمليات الفدائية والنضالية للشعب الفلسطيني المنافح والمدافع عن أرضه ووطنه ضد المحتل المغتصب بالإرهابية ، وكيف لا ينعت ما يقوم به الجيش الجمهوري الايرلندي من أعمال عنف وتفجير وتقتيل بالإرهاب في حين أجمعت القوى الغربية جميعها بتحريض روسي واضح على وصف أعمال الكفاح والنضال الشيشاني بأنها إرهابية من الدرجة الأولى.

إن التاريخ المعاصر يطفح بالأمثلة والنماذج الحية التي تبين بوضوح ان كل ما يقع في دائرة العرب والمسلمين من أعمال كفاح مسلح يعتبر إرهابا دوليا وكل ما يقع داخل الكيان الغربي من ذلك لا تتم الإشارة بتاتا إلى كونه مصدر إرهاب وإنما هي أعمال عنف فحسب ، أما لفظة "الإرهاب" فلم توجد أو يوجدها الغرب نفسه إلا لاستخدامها ضد العرب والمسلمين . وفي ظل هذا الانحياز الصارخ في النظرة إلى الإرهاب ومن يصنعه تنبغي الإشارة إلى أمر مهم يندرج في سياق البحث عن آثار ذلكم الانحياز والتمييز غير المبرر ، فمما لا شك فيه انه أمام هذا الواقع المرير لا يسع الشعوب التي تطالها سياسة الانتقاء والتمييز في النظرة إلى الإرهاب إلا أن توسع من نطاق الكراهية للدول الغربية العظمى التي تقف وراء تلك المواقف

العنصرية الموغلة في تحقير بعض الشعوب واستفزازها، وهو ما ينجم عنه بشكل طبيعي احتقان قلوب أبناء تلك الشعوب -ونقصد هنا على وجه الخصوص الشعوب العربية- وامتلاؤها غيظا وحقدا وكراهية لتلك الدول الغربية المستفِزَّة والمضطهِدة وهو ما لا يمنع من إتاحة الفرصة لصنع مناخ مواتٍ للعنف والكراهية .

أبيض

الإرهاب لا انتماء له ولا جنسية.

من المؤسف حقا أن يصبح الانتساب إلى الإسلام والانتماء إلى حضارته وثقافته مدعاة لإلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين، وكأن الإسلام والإرهاب لصيقان يجتمعان بصورة تلقائية وعفوية في أذهان الغربيين . ولا يخفى أن الأحداث المروعة التي وقعت بأمريكا قد نجم عنها تنامي حدة الكراهية والحقد ضد العرب والمسلمين المقيمين في الديار الأمريكية ، ويتضح من خلال حالات المضايقة والاستفزاز والتهديد أحيانا التي تعرض لها المسلمون هنالك مدى قوة التخوف والريبة الذي يشعر به الأمريكي عندما يرى أمامه عربيا مسلما، وإن من أغرب ما حصل في هذا الصدد امتناع ركاب طائرة من الإقلاع من مطار أمريكي إلا بعد نزول ثلاثة ركاب عرب كانوا على أهبة السفر مع مواطنيهم الأمريكيين، وهو ما حصل فعلا بعد أن أقنعت سلطات المطار الركاب العرب الثلاثة بامتطاء طائرة أخرى .

إن مجرد التنبه إلى السُّحنة العربية التي ميزت الركاب الثلاث كان كافيا لكي يحدث في نفوس العشرات من ركاب الطائرة نوعا من التخوف والارتياب في حقهم ،إنها فعلا لعنة "الإرهاب" التي أضحت تلاحق كل من كان

عربيا أو مسلما . ولاشك أن عقلاء الغربيين يعون جيدا خطورة الاتهام بصورة عشوائية بمجرد الانتماء إلى جنس أو دين مَن قد يكون ارتكب العمل الإجرامي ، وهذا فيه ظلم وحيف بالغان .

فقد حدث مرارا أن كانت هناك أعمال إرهابية اقترفها غربيون ولكن لم يتم اتهام الغرب المسيحي كله بأنه إرهابي فعندما وقع انفجار (أوكلاهوما) بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٥ تعالت الأصوات في تسرع تنقصه الرزانة والتعقل إلى القول بأنه لن يكون إلا عنفا إسلاميا قبل أن تتجلي الحقيقة لتظهر أن الجاني الحقيقي لم يكن سوى أحد أبناء الدم الأمريكي ، ومع ذلك فإنه لم يتم مؤاخذة كل الأمريكيين أو المسيحيين لأن الجاني من نفس الجنس أوالديانة . إنها فعلا مفارقة غريبة.

إن الأحداث المروعة التي أصابت أمريكا قد أفرزت مزيدا من الاتهامات والإسقاطات التي تجعل من دعوى "الإرهاب الإسلامي" ورقة رابحة تُسَخَّر في أكثر من واجهة مصلحية تحقق بها دعايات سياسية وضغوط اقتصادية قد لا تظهر معالمها بجلاء للعيان ، ولعل أكثرها وضوحا إذكاء سياسة التخويف والترويع من الإسلام.لقد بات من المألوف ان تتجه أصابع الاتهام -كلما حدث حادث عنف أو إرهاب- إلى المسلمين والعرب ،وأصبح يخيل إلينا ان الآلة

الإعلامية الغربية قد سطرت مسبقا -يشكل بديهي- تورط المسلمين في كل تفجير او تدمير يستهدف المصالح الأوربية أو الأمريكية في العالم ، إنها عقدة أصابت الغرب وأفقدته كل ثقة او اطمئنان إلى ما يرتبط بالإسلام والمسلمين.

إن التحيز الإعلامي الغربي الصارخ ضد المسلمين قد بات واضحا للعيان،وان انصراف أذهان الغربيين إلى اتهام الدين الإسلامي قد أصبح نتيجة طبيعية لذلك ، فالعقلية الغربية بصفة عامة لا تزال تطفح بجهاز من الأحكام المسبقة والمقولات السلبية والاسقاطات الخاطئة ،وليس من السهل العمل على تبديدها أو بيان مدى تهافتها وبطلانها،كما أن محاولة نفي التهمة عن الإسلام قد لا يبدو أمرا سائغا ومقبولا لدى القوم بمجرد ان نبرهن لهم على ان قرآننا الكريم لا يشتمل-كما يزعمون-على أدنى بذور أو مقومات الدعوة الى شكل من أشكال العنف،وان فيه بالمقابل ما يدعو الى عكس ذلك من التسامح وعدم الاعتداء والدعوة إلى السلم والتعايش .

ويبدو أن من وسائل وسبل نفي التهمة -جريا على منطق الغربيين- التذكير ببعض مظاهر العنف والإرهاب التي يقترفها أبناء جلدتهم داخل أوطانهم ، وفي اطار الفضاء الغربي ذاته ، حتى لقد اصبح بروز تيارات التعصب والغلو والعنف من ابرز سمات المجتمع الغربي في

الآونة الأخيرة . وبذلك نستطيع التأكيد على أن ظاهرة العنف والإرهاب ليس لها دين ولا جنسية وإنما هي ظاهرة عالمية تتهدد كل دولة من دول العالم .فحادث "أوكلاهوما" الذي وقع في شهر أبريل من عام ١٩٩٥ بالولايات المتحدة الامريكية قد أبان عن حقيقة تتجلى في انه بعد تبرئة ساحة الطرف الإسلامي وتبين عدم تورطه في الحادث ظهر بوضوح ان العنف الإرهاب تتبناه أيضا فئات من المجتمع الغربي ،ولسنا بحاجة إلى التذكير بما تقوم به منظمة الجيش الجمهوري الايرلندي الكاثوليكية من أعمال العنف داخل بريطانيا وكذا منظمة الباسك باسبانيا وما سبق أن اقترفته منظمة الألوية الحمراء في العقود الأخيرة من جرائم إرهابية داخل إيطاليا ، وغير ذلك من التنظيمات الإرهابية الغربية وعصابات المافيا اليسارية السرية المتطرفة.

ويحلو لكثير من السياسيين الغربيين ان يتهموا المسلمين بالميل الشديد نحو العنف والغلو الناتج عن شدة التمسك والتشبت بتعاليم الإسلام "المتشددة" كما يدعون ، وهذا الاتهام الذي ليس له أدنى أساس من الصحة يمكن درؤه ورده بأمر بسيط هو التذكير مرة اخرى بان كثيرا من أحداث العنف والتطرف التي حدثت في بلاد الغرب كان من ورائها رجال دين متطرفون ، فما مصرع رئيس الوزراء

الإسرائيلي السابق إسحاق رابين على أيدي متطرف يهودي إلا أكبر دليل على ذلك. ناهيك عن أحداث إطلاق الغازات السامة التي عرفتها أنفاق قطارات طوكيو عام ١٩٩٥ والتي كان من وراءها متطرفون بوذيون ، ويطول بنا الحديث لو أردنا استقصاء كل الحالات.ويكفي ان نشير إلى ان الباحث الفرنسي جيل كيبل Gilles Kepel كان قد أصدر منذ عشر سنوات كتابا يحمل عنوان:"انتقام الرب"(١) ضمن جانبا كبيرا منه الحديث عن ابرز التيارات الأصولية المتطرفة بأمريكا وغيرها وبخاصة الإنجيلية منها والتي أثبتت الإحصاءات الحديثة تورطها في كثير من أعمال العنف الدامية.

إننا لا ننكر أن عناصر متطرفة من أبناء المسلمين قد اختاروا سبيل العنف لتحقيق مصالحها والتعبير عن مطالبها ، لكنها فئات معدودة لا تعبر قطعا عن تعاليم الدين الإسلامي والموقف العام لكافة المسلمين الذين هم أول المناهضين والمنددين بهم ، كما أن بروز هذه الفئات الشاذة يعتبر أمرا طبيعيا في كل فئات المجتمعات ويوجد ما يشابهها في أوربا وأمريكا واليابان وغيرها .

ان الغرب لا يمل من الحديث عن أن معظم المسلمين

---

(١) - Gilles Kepel: La revanche de Dieu - Paris 1991
وانظر حوارا مع المؤلف حول كتابه في مجلة Vision العدد ١١ (أبريل-ماي ١٩٩١).

لهم قابلية لممارسة العنف والارهاب، ولا يسأم من اتهام الإسلام بأنه المصدر الفاعل والمحرض على ذلك ، لكنه يتجاهل حقيقة كون العنف والغلو يمثلان ظاهرة عامة تطال جميع بقاع المعمورة، وليست خاصة بالبلاد العربية والإسلامية كما يتوهم الغربيون ، ثم ان محاولات التحرير الوطني واسترداد البلاد المغصوبة والمحتلة والتي تصاحبها عادة أعمال عنف متفاوتة لا يمكن إضفاء صفة الإرهاب عليها بمعزل عن البحث في أسبابها وخلفياتها ومراميها .

وبعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ آلت الأمور إلى فوضى عارمة فاختلط الحابل بالنابل حتى ساوت إسرئيل بين الهجوم على الولايات المتحدة وانتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال التي اعتبرتها هجوما عليها . إن أخشى ما يخشاه المرء أن تستمر تلك الفوضى ويأخذ التخليط مداه بحيث تتحول الدعوة للاحتشاد ضد الإرهاب إلى إذكاء روح الكراهية والبغض للعرب والمسلمين .

من أجل تعريف دولي للإرهاب

لقد أثبتت تداعيات تفجيرات أمريكا أن مفهوم "الإرهاب" لا يزال غير واضح وسليم فكثير من الدول تنظر إلى ظاهرة الإرهاب الدولي بمنظور مخالف لما تراه دول أخرى ، ويرجع ذلك بالخصوص إلى درجة الاكتواء بنار الإرهاب الذي يختلف من دولة إلى أخرى ، كما أن الأمر يرجع بالأساس إلى مدى تحقيق مصالح استراتيجية معينة تكون هي الفاعل والمؤثر الرئيسي في النظرة إلى طبيعة أعمال العنف الحاصلة للحكم عليها . وفي ظل انعدام تعريف دولي للإرهاب مجمع عليه من طرف جميع الدول تتضارب المواقف وتختلف القناعات عندما يتم الحديث عن أعمال العنف الواقعة هنا أو هناك، فقد يكون ما يرتكب من أعمال عنف من طرف شخص واحد ينتمي إلى دين معين عملا إرهابيا خطيرا لا تنطلي مسؤوليته على الشخص المنفذ فحسب وإنما يؤخذ بتلك الجريرة كل الوطن أو الجنس أو حتى الدين الذي ينتمي إليه ، بالمقابل لا يعتبر ما ترتكبه دولة بأكملها في حق أقلية عرقية أو دينية تصبو إلى الانعتاق وتحقيق الذات عملا إرهابيا وشنيعا ينتج عنه قتل الآلاف من الأبرياء . وهذا ما حصل كما لا يخفى في أكثر من بقعة في العالم : -البوسنة-

كوسوفو-الشيشان-بورما-كشمير وغيرها . ولماذا نذهب بعيدا وأمامنا أم القضايا العربية العالقة قضية فلسطين التي تجسد بوضوح وجلاء ما نسعى إلى التأكيد عليه من أن مفهوم الإرهاب لا يزال غير واضح لكثير من الدول - المهيمِنة منها على وجه الخصوص- إذ كيف يعقل ان لا توصف الأعمال الوحشية والترويعية التي يمارسها العدو الصهيوني في حق الشعب الفلسطيني الأعزل إرهابا ، وجميع دول العالم تعلم بيقين حق الفلسطينيين في أرضهم ووطنهم بصورة مشروعة تؤكدها القرارات الأممية وما يعرف بالشرعية الدولية.

وإذا كانت أمريكا بعد اعتداءات ١١ شتنبر ٢٠٠١ قد سعت إلى إقامة تحالف دولي لمحاربة الإرهاب واقتلاع جذوره فلماذا لا يعتبر ما تقوم به إسرائيل في حق الشعب

الفلسطيني إرهابا يستحق صده وإيقاف هيجانه. ويبدو أن التناقض الصارخ في مواقف بعض الدول الغربية المستأسدة في الحكم على أعمال عنف بكونها إرهابا أم لا هي التي دفعت بعض الزعماء العرب عندما دعيت بلدانها للتحالف ضد الإرهاب إلى المطالبة بضرورة عقد مؤتمر دولي حول الإرهاب قصد الاتفاق أولا على طبيعة الأعمال الترويعية التي يصلح أن يطلق عليها اسم الإرهاب ،وذلك حتى لا يكون هنالك سعي لتحقيق مصالح ذاتية وإهمال

مصالح شعوب أخرى -عربية منها على وجه الخصوص- تكتوي يوميا بنار الإرهاب ،ولا أحد من الغربيين يجرؤ على وصف المعتدي بالإرهابي.

إن مثل هذه المواقف المتناقضة التي أفرزها النظام الدولي الجديد هي التي لا تسمح بإنضاج تعريف دولي للإرهاب تجمع عليه مختلف البلدان وتلتزم بمقتضياته وأحكامه.

إن مما لا شك فيه أن المصطلحات التي تستخدم لوصف حدث تاريخي ما هي التي تحدد فهمنا له ، وإذا جردناها من التحديد فإن الكلمات تصبح حواجز أمام المعرفة ، وهذا ما هو حاصل الآن عندما يناقش موضوع الإرهاب وتختلف النظرة إليه بين العرب والغربيين.

ومن المؤسف حقا أن يكون تحديد المصطلحات الحضارية والسياسية الأكثر شيوعا وذيوعا إنتاجا غربيا محضا لا يسع الأمم والشعوب سوى الإذعان والقبول به . إن لفظة "الإرهاب" شأنها شأن كثير من المصطلحات قد استغلت على نحو خاطئ ، فالإرهاب Terrorisme مشتقة من لفظة Terreur التي تعني الرعب والهلع = الترويع[(١)] ،

---

(١)- لاشك أن كلمة الترويع هي الترجمة الحقيقية للعمل الإجرامي الذي يستهدف المدنيين والشيوخ والأطفال (Terrorisme) والذي فرض علينا أن نسميه بالإرهاب ، وقد ورد المصطلح في القرآن في سياق القتال المشروع في قوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم" الأنفال:٦٠ ومعنى ترهبون به عدو الله أي تخيفونهم وتبثوا فيهم الرهبة، فالمقصود إذن إرهاب العدو المشروع لنا ان نعاديه.

والترويع لا يدل دائما على القتل . وإذا كانت ممارسة الإرهاب تؤدي في كثير من الحالات إلى إزهاق أرواح بريئة فإن مدلول اللفظة الجوهري يدل على الترويع والتخويف والضغط على جهة معينة لحملها على تبني أو تغيير سياسات محددة ، وإذا أخذنا بهذا المفهوم الذي يدل عليه معنى اللفظة الأجنبية لغويا ، فإن كثيرا من ممارسات الدول المهيمنة تعتبر ترويعا وإرهابا في حق دول وشعوب أخرى ، وقد يكون مثل ذلك الترويع الذي يتجلى في صور الحصار وفرض العقوبات وغير ذلك أكثر إيلاما وتأثيرا من عمل إرهابي تزهق فيه أرواح مجموعة من الناس.

ولذلك فإنه لا تناقض على الإطلاق بين أن تواسي جراح ضحايا نيويورك وواشنطن وتحاول منع إثخان الشعب العراقي بالجراح ، فقد سقط أبرياء في الجهة الغربية وسيسقط أبرياء في الجهة الشرقية ، كل ذلك بسبب لغة الكراهية التي تنميها السياسة والتي تولد الرغبة في الانتقام ، والشر يتناسل بغزارة في الأجواء المحمومة ، ومن يريد ان يكون ضد الإرهاب فعليه الوقوف مع العدالة التي تنادي دوما بإنصاف المظلومين والبؤساء والجياع.

إن الإرهاب لا يكون بالتقتيل وترويع البشر فحسب ، بل قد يأخذ أشكالا سياسية واقتصادية ، تعتبر سلاحا

ذكـيــا في أيدي الدول العظمى تسـتـعـمله ضـد كل من يتـحـداهـا و لا يريد مـواكبـة نهـجـهـا في تسـيـيس الـعـالم والتـحكم في مقـاليده ، غيـر أن مثل صـور الإرهـاب هـاته لا يكاد يعيها ويفطـن إلـى خطورتها سـوى نزر قليل من النـاس ممن يقـوون على تحليل قـضـايا الـسـيـاسـة والـثـقـافـة والاقـتـصـاد الدوليـة ، وبسـبب ذلك فـإن فظاعـة تأثيـر هـا وبشـاعـة خطورتهـا لا تبلغ - في نظـر عـامـة النـاس- درجـة هول المأساة عندما يتعلق الأمر بقتل مجموعة من الأبرياء.

لقـد أظهـرت الاعـتـداءات على أمـريكا أن كـثـيـرا من زعـمـاء دول الـعـالم الإسـلامـي الذين أجـمـعـوا على الانـتـصـار للقـضـيـة الفلسطينيـة قد أشـاروا إلى انه لا يمكن الحـديث عـن شكـل مـــعين من الإرهـاب الـدولي دون إشـــهـــار ملف الإرهـاب الإسـرائيلي في الأراضـي المحـتلة ، ولذلك سـارع كثير منهم إلى المطالبـة بعقد مؤتمر دولي حول الإرهـاب في أقـرب وقت قـصـد تحـديد مـفـهـوم شـامل وواسـع للإرهـاب يخدم مصالح جميع الأمم والشعوب غنية كانت أو فقيرة. لكن المؤشرات التي أخذت تلوح في الأفق -إلى حدود كتابة هذه الأسطر- تدل بوضوح على أن الدول الغربية المسـاندة لإسـرائيل لا ترى في فكرة عقد مؤتمر دولـي حـول الإرهـاب شيئا يخدم مصالحها ولذلك لم تستجب للنداء ، بل ذهبت بعيدا عندما دعت الرئاسة البلجيكية يوم ٢٠٠١/٩/٢٠ إلى

القمـة الأوروبيـة الطارئة من أجل المصادقـة على تعـريف أوروبي (وليس دولي) مستعجل خاص بالإرهاب [١] فانتهى وزراء العدل والداخلية في الاتحاد الأوروبي إلى التنصيص على أن الإرهاب هو :

"العمل المنفذ عمدا مع سبق الإصرار ضد دولة أو مجموعة دول من أجل النيل عنوة من مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية بهدف تدميرها " وبذلك لم تتم الإشارة بتاتا إلى أن حق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال في الكفاح من أجل نيل استقلالها ليس إرهابا [٢] .

وإذا كانت جل التعريفات التي أنضجتها التكتلات الإقليمية ووكالات ومعاقل المخابرات الغربية حول مفهوم الإرهاب لا تشير إلى ضرورة استثناء -عمليات المقاومة ضد المحتل-فإن الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التي أقرها مجلس وزراء داخلية ٢٢ دولة عربية عام ١٩٩٨ قد أحسنت عندما لم يفتها التفريق بين الأمرين ، حيث جاء في تعريفها للإرهاب انه "كل فعل من أعمال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذا لمشروع إجرامي : فردي أو جماعي ، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ليوم ٢١ /٢٠٠١/٩ عدد ٨٣٣٣.

(٢) مباشرة بعد الإعلان عن قرارات القمة سارعت وزارة الإعلام اللبناني بتنسيق مع هيئة نقابيي الصحافة اللبنانية إلى اعتماد خطة إعلامية لبنانية للتمييز بين الإرهاب والمقاومة.

الناس أو ترويعهم بأبنائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها...." إلى أن قالت :" لا تعد جريمة حالات الكفاح بمختلف الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وفقا لمبادئ القانون الدولي ..."

وأصدرت رابطة العالم الإسلامي ما عرف ببيان مكة الصادر عن المجمع الفقهي بالرابطة والذي عرف الإرهاب بأنه :"العدوان الذي يمارسه أفراد أوجماعات أو دول بغيا على الإنسان في دينه ودمه وعقله وماله وعرضه ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أموالهم للخطر ، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها . قال تعالى : **﴿ولا تبغ الفساد في الأرض**

إن الله لا يحب المفسدين﴾ .

و مثل هذه التعريفات العادلة التي تحقق مصالح كل الدول تخدم تطلعات كل الشعوب إلى الأمن والاستقرار والسلام تنضح بالواقعية من خلال إدانتها للإرهاب بكل أنواعه وأشكاله ، لكنها تحافظ في ذات الوقت على حق الشعوب والدول في تقرير مصيرها عن طريق الكفاح والنضال ، وهذا ما لا يسعى الغرب إلى فهمه واستيعابه ولا يرمي إلى الاعتراف به بالرغم من أنه يعي جيدا أن معظم شعوب العالم قد كافحت وناضلت نضالا مسلحا ضد المستعمر في أواسط القرن الماضي ، ولم يقل عاقل في ذلك الوقت بأن الأمر معدود ضمن خانة الإرهاب بل إن الشعب الأمريكي نفسه لم يستقل عن بريطانيا إلا بعد كفاح طويل ونضال مسلح مرير ، فلماذا إذن المغالاة في تعريب الإرهاب وجعله لا ينبعث أو ينتعش إلا في أوساط العرب بصفة عامة والفلسطينيين على وجه الخصوص ، ولماذا السعي إلى تحديد تعريف ضيق للإرهاب يخدم شعوبا محددة فحسب.

إن أية استراتيجية عالمية لمكافحة ما يوصف بالإرهاب لا بد أن تستند إلى مفهوم مشترك للإرهاب غير مضطرب وغير عنصري وغير مغرض وغير مختلط بحق الشعوب في مقاومة الاحتلال والتطلع إلى الحرية والاستقلال كما

هو حال الشعب الفلسطيني، ثم إن محاولة إيجاد تعريف دولي للإرهاب لابد أن تأخذ في الاعتبار الأسباب والدوافع التي تدعو إلى القيام بأعمال إرهابية ، فلا علاج جديا إلا بمعرفة الأسباب.

أبيض

الفصل الثالث :

من يقف وراء الاتهام

أبيض

إذا كانت دعوى "الإرهاب الإسلامي" ورقة رابحة لدى الغرب تستخدم كلما برز الشأن الإسلامي على الساحة الدولية بصورة لافتة أو ظهر مؤشر من مؤشرات قوة الإسلام وسرعة انتشاره فإن مما لا شك فيه أن الهدف من ذلك هو تحريك مشاعر الغربيين وتقوية روح العداء لديهم تجاه الإسلام والمسلمين ، لكن ينبغي البحث عن الجهات التي تقف وراء تلك الحملات المغرضة لتشويه صورة الإسلام واتهامه بالعنف والإرهاب .ومن السذاجة بمكان الاعتقاد بأن الترسانة الإعلامية الغربية تقف وحدها وراء ذلك ، بل هنالك تخطيط شامل وتعاون متكامل بين الإعلام الغربي بكل مكوناته وجهات ومؤسسات أخرى يعمل في ظلها خبراء أكاديميون ومستشرقون واستراتيجيون يتقمصون رداء البحث العلمي الأكاديمي وينضجون نظريات خطيرة على مستوى اتهام الإسلام بالقابلية للصدام الحضاري مع تشويه صورته.

وفيما يلي كشف واستعراض لأبرز هؤلاء الذين يقفون وراء اتهام الإسلام بالإرهاب.

أبيض

دور القولبة الإعلامية المعاصرة

تعتبر القولبة الإعلامية Stèreotypie أبرز وسيلة ينهجها الإعلام الغربي من أجل توصيف الإسلام في إطار قوالب نمطية موغلة في الازدراء والتشويه ، ويعبر مفهوم القولبة الإعلامية عن تحديد مسبق لفكرة أو مجموعة من الأفكار تغذيها خلفيات معرفية محددة ، وتهدف بشكل تبسيطي وتعميمي إلى وصف " الآخر" انطلاقا من انتماءاته الدينية أو العرقية أو غير ذلك .

والقولبة الإعلامية التي يحلو للإعلاميين الغربيين اللجوء إليها عندما يراد الحكم على الإسلام وتوصيفه تستند إلى جهاز كامل من الأحكام المسبقة Prejugés والتي لها رصيد ضخم في المخيلة الغربية مما يجعل تصور العالم الإسلامي بكل مكوناته ومقوماته إنما يتم من خلال خلفيات فكرية سابقة تهدف بالأساس إلى الدفاع عن مصالح واهداف معينة .

وإذا كانت مراحل تشويه صورة الإسلام عبر التاريخ قد مرت بصفة أساسية عبر ثلاث مراحل: المرحلة الصليبية والمرحلة الاستشراقية والمرحلة الإعلامية ، فإن خلال هذه المرحلة الأخيرة تم الاعتماد بشكل رئيسي على الأفكار المسبقة التي أنضجتها واختلقتها المرحلتان

السابقتان [1] ، حيث تتاح بذلك استعادة ذاكرة الاحتكاك العنيف الذي طبع تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب أثناء الحروب الصليبية ، كما يتم الاستئناس بما أفرزته المؤسسة الاستشراقية خلال القرون الثلاثة الأخيرة من أحكام وطعون في حق الإسلام تشكل الركيزة الأساسية التي تعتمدها القولبة الإعلامية الغربية في صنع صورة مخيفة ومروعة عن الإسلام والمسلمين .

وعملية القولبة الإعلامية كما يمارسها الغرب في حق الإسلام يبتغى من ورائها إلصاق تهمة الإرهاب والعنف بالإسلام وذلك من أجل الحيلولة دون إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام أو حتى التعرف عليه . فالصورة النمطية المشوهة التي ترسخها عملية القولبة الإعلامية الغربية في ذهن الإنسان الغربي تهدف إلى التخويف من هذا الدين والترويع من كل ما يمت بصلة إلى المسلمين الذين يوصفون أحيانا بأقذر الأوصاف وأقبحها ، فعلى سبيل المثال عندما نقرأ بأن العرب المسلمين هم الذين اخترعوا الخنجر، السلاح التقليدي في عمليات الاغتيال على مر العصور نجد أن هذا الوصف يعتبر أصدق تعبير عن دور القولبة الإعلامية الغربية في صنع الصورة النمطية الموغلة في

---

(١) أنظر عن هاتين المرحلتين كتاب "الاستشراق"لادوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب ،بيروت ١٩٨١.

التمييع والتشويه . فهذا الهراء العرقي يرمي بشكل واضح إلى تكريس العرب لأداة الغدر والإيقاع بالغير ، مقابل السيف الذي يمثل عنوان وشعار الفروسية والشهامة في القتال ، أما البعد الآخر الذي يرام تحقيقه من وراء ذلك فهو اعتبار العربي المسلم مصدر تهديد وإرهاب لحياة غيرهم.

وهذه مجلة The Atlantic Monthly عندما نشرت مقالة برنارد لويس " جذور السعار الإسلامي" خصصت غلاف المجلة لهذا الموضوع وأرادت أن تضفي على عنوان المقالة القاتم والبالغ الاحتقار والازدراء عنصرا آخر مؤثرا ومعبرا وذلك بتقديمها لصورة كاريكاتورية لشيخ مسلم معمم عابس الوجه تنبعث من عينيه شرارة الحقد والغضب وبمقلتي عينيه نجوم العلم الأمريكي ، وأضافت المجلة في متن المقال - كوسيلة إيضاح- صورتين برسم اليد لثعبانين : الأول ارقط بنجوم العلم الأمريكي يدب في الصحراء وهو بذلك يرمز إلى هيمنة أمريكا على العالم العربي الإسلامي ، والثاني لثعبان وقد انتصب يترصد لرجل مسلم يصلي وكأنه يريد ان ينقض عليه . لقد رام مسؤولو تحرير المجلة من تلك الرسوم الكاريكاتورية التدليل على أن العالم الإسلامي يعتبر أمريكا نموذجا للشر وان الغرب وأمريكا على وجه الخصوص يعتبران العالم الإسلامي بدوره منبعا

للتهديد والترويع وهناك مثال آخر حديث أفرزته تداعيات أحداث يوم ١١ شتنبر ٢٠٠١ بأمريكا ، حيث تناقلت الأنباء أن أكثر من مائة متظاهر استولوا مساء يوم ١٨ /٩ /٢٠٠١ على مقر صحيفة بإحدى المدن الأمريكية مطالبين باعتذار عن رسم كاريكاتوري اعتبروه مشجعا على العنف ضد العرب والمسلمين الأمريكيين. ويصور الرسم رجلين ملتحيين يرتديان ثيابا طويلة ويجلسان على يد شيطان وتحت أرجلهما دليل التدريب على قيادة الطائرات ،كما وضع تحت الرسم ما يفيد أن الرجلين (يعتقدان أنهما في الجنة في حين أنهما في النار).

إنه بتكريس مثل هذه الصور النمطية عن العرب والمسلمين في أذهان الغربيين اصبح من الطبيعي ان تتوجه أصابع الاتهام إلى المسلمين كلما دوى انفجار أو وقع تدمير إجرامي لمبنى من المباني الحكومية الغربية داخل أوروبا أو أمريكا.

ومما يثير الاستغراب - في نفس الإطار- ما أورده جون سبوزيتو [١] في حوار معه بجريدة الشرق الأوسط [٢] من أنه في عام ١٩٩٤ تم القبض على أحد اللبنانيين في نيويورك متهما بقتله لأحد اليهود ، فاتصلت به -أي

---

(١) رئيس مركز التفاهم الإسلامي- المسيحي بواشنطن.

(٢) الشرق الأوسط ، العدد ٦٠٦١ (١٩٩٥/٧/٣).

بسبوسيتو- إحدى المحطات التلفازية الرئيسية وطلبت منه ان يتحدث عن دور المتطرفين المسلمين فقال لهم : وما المناسبة هل هناك ما يثبت بان ما يسمى بالمتطرفين لهم ضلع فيما حدث .الغريب في الأمر انه بعد التحقيقات اللازمة تبين أن المتهم لبناني لكنه غير مسلم .

من جهة أخرى ، يمكن القول بان القولبة الإعلامية الغربية قد عملت منذ عقدين من الزمن على تكوين عملية دعائية استهدفت تعريب وأسلمة" الإرهاب" وبذلك اصبح العالم العربي والإسلامي الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الإعلام " شيطنة العدو" أي تحويل العرب والمسلمين من دون استثناء إلى شر مستطير وإلى مصدر رعب وتخويف للغرب(١) ، وتسعى وسائل الإعلام الغربية إلى تأكيد ذلك من خلال تقديم إحصائيات مبالغ فيها يصعب التأكد من صحتها ، ففي استطلاع نشرته صحيفة "لوموند" الفرنسية خلال شهر نونبر ١٩٩٨ حاولت الصحيفة التأكيد على أن ٧١٪ من الفرنسيين يرون أن الإسلام يرادف التعصب وأن ٦٠٪ يربطون بين الإسلام والعنف ، كما أن ٦٦٪ يرون في الإسلام ردة إلى الوراء...

إن الإعلام الغربي لا يمل من الحديث عن الإسلام

---

(١) لا ننسى بهذا الصدد كيف نجح الإعلام الصهيوني المهيمن على جزء كبير من الخطاب الإعلامي الغربي في جعل كلمة "إرهابي" تقرن بالعربي المسلم.

كمصدر للعنف والإرهاب ، وهو بذلك يعمل على تكريس مزاوجة تلقائية تقرن الإسلام بالإرهاب كلما تعلق الأمر بالحديث عن ظاهرة الإرهاب ، وهذا ما جعل برنارد لويس أحد أبرز منظري فكرة "الإسلام العنيف" يقول بدون مواربة:"من المناسب ان نستخدم الإسلام كمصطلح للتحديد والتصنيف عندما نناقش موضوع الإرهاب اليوم"[(١)] .

من جهتها لا تتورع القنوات التلفزية بدورها عن الإيهام بأن الإسلام يحمل في طياته بذور العنف والترويع ، ومن آخر ما انطبع في ذاكرتنا من ذلك ما أوردته مؤخرا القناة التلفزية الفرنسية Antenne 2 خلال تقرير لها عن الإرهاب العالمي ، حيث لم تجد من الصور والمشاهد التي يمكن أن ترفق بالتقرير سوى مشهد حي لمسجد باريس (الدائرة الخامسة) ذي الصومعة الشاهقة ، وقد غص بالمصلين الذين ضاقت بهم جنبات المسجد . ولا يخفى على كل ذي لب حصيف مدى ما تسهم به عملية اقتران المشهد بالتقرير من اذكاء بالغ لروح الخوف والتوجس من الدور المزعوم للمساجد القابعة بالديار الغربية في تذكية وتشجيع أعمال العنف والإرهاب.

---

(١)- قال ذلك عندما كتب معلقا على كتاب رئيس الوزراء الإسرائلي السابق نتنياهو : "الإرهاب : كيف يمكن للغرب أن ينتصر" ولا يخفى ان الكتاب قد أصبح في الغرب مرجعا كلاسيكيا في مسألة علاقة الاقتران المزعومة بين العربي المسلم وبين الإرهاب. (الإسلام الأصولي:مرجع سابق ص ٢٢).

المستشرقون الصحفيون وأسلوب الإثارة والتضليل

مما لاشك فيه ان من وراء الحملات المغرضة لتشويه صورة الإسلام واتهامه بالعنف والإرهاب والتطرف تقف ترسانة إعلامية ضخمة هدفها العمل بتنسيق تام وتخطيط متكامل لإتقان عملية التمييع الموجهة ضد الإسلام والمسلمين ، بيد أن أبرز فريق إعلامي يظهر دوره كفاعل مؤثر وخبير مختص هو مجموعة من الصحفيين الكتاب الذين هم أقرب إلى العمل الاستشراقي من العمل الصحفي أو بالأحرى هم كتاب صحفيون مالوا إلى احتراف مهنة الاستشراق التي باتت بالية ومتجاوزة.

وعادة ما تتميز التغطيات الصحفية التي يقوم بها هؤلاء بنوع من الإثارة والجاذبية ،الغرض منها هو لفت انتباه القارئ الغربي الذي أخذت تستهويه في السنوات الأخيرة كل المعلومات كيفما كان أساسها ومدى صحتها عن الإسلام والمسلمين ، والمطالع لتفاصيل تلك التغطيات الإعلامية والتحقيقات الصحفية سرعان ما يصطدم بتكسير وتجريح صارخين للثوابت الإسلامية ونسف تام للبدهيات والمسلمات التي يؤمن بها المسلم الغيور على دينه . ولسنا هنا بصدد الحديث عن الموضوعات المطروقة في بعض وسائل الإعلام الغربية المكتوبة ، ولا بصدد الرد على

ما تتضمنه من عناصر التشويه والتحريف والطعن والافتراء ، وإنما الذي نود التوقف عنده هو إثارة الانتباه إلى ما نسميه "ظاهرة الاستشراق الصحفي" التي تقف وراء إنضاج التحقيقات والاستطلاعات الصحفية المغرضة حول الإسلام والمسلمين لفائدة الإعلام الغربي المكتوب والمرئي على السواء.

وهذه الظاهرة التي أخذت تبرز بشكل مثير وجذاب في العقدين الأخيرين قد شكلها فئات من الصحفيين مزجوا بين العمل الصحفي الإعلامي والبحث الاستشراقي، واختصوا في تغطية الأحداث العربية والإسلامية لفائدة قطاع الصحافة الغربية بكل شبكاتها الإعلامية.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه ظاهرة "الاستشراق الصحفي" تتوهج مع الأيام ومع تطور تقنيات الاتصال المهولة وبخاصة أوقات الأزمات المفاجئة التي يكون فيها الشأن الإسلامي مناط الحديث والخبر والصورة في الإعلام الغربي كما هو الحال غداة الاعتداءات المروعة التي أصابت أمريكا ،نجد أن معالم الاستشراق والبحث المتخصص قد بدأت تطمس وتنسى[١].

---

(١) هذا ما يمكن ان يلاحظه المتتبعون والمختصون عندما يتبين ان أسماء هؤلاء المستشرقين الصحفيين قد أضحت أكثر شهرة وتألقا من أسماء المستشرقين التقليديين.

لقد أبدى -فعلا- كثير من الباحثين المتخصصين في الآونة الأخيرة امتعاضهم واستياءهم من هيمنة ونفوذ المستشرقين الصحفيين الذين لا يستقر بهم حال من الأحوال ، فهم يتحركون بشكل مثير ويستقطبون الأنظار ويتنافسون فيما بينهم على تحقيق السبق الصحافي في الشأن الإسلامي ، وهذا ما جعل بعض المستشرقين يشتكون من كونهم لا يدعون إلى المحطات التلفازية قصد عرض آرائهم وتحليلاتهم للقضايا الإسلامية الساخنة ، لقد أمست الأولوية في ذلك تعقد للمستشرقين الصحفيين الذين يتقنون الحديث عن الإسلام بصورة ملفقة ومشوهة ومثيرة تستهوي المسؤولين عن وسائل الإعلام الغربية كما تلقى ترحيبا كبيرا من طرف جماهير القراء والمشاهدين الغربيين. وهذا ما أمكن ملاحظته في كثير من المحطات الفضائية الغربية التي سارعت خلال الأسبوع الذي تلا التفجيرات بأمريكا إلى استضافة كثير من المستشرقين الصحفيين الذين يُعتقد أنهم باتوا يفهمون العالم الإسلامي وطبيعة الدين الإسلامي وتوجهات وطباع المسلمين كيفما كانت جنسياتهم ، وتظهر المقابلة معهم أنهم أفضل من يتحدث عن الإسلام والمسلمين لا لشيء إلا لكون بعضهم قد ألف كتابا حول الإسلام أو أقام ردحا من الزمن في بلد عربي إسلامي. والمتتبع اللبيب لتصريحات هؤلاء يتأكد له

بسرعة جهلهم المطبق بكل ما يرتبط بالعالم الإسلامي دينا وثقافة وحضارة ، إذ كل ما يتقنونه هو الوقوف عند بعض الكليشيهات المميزة أو اللقطات المثيرة التي التقطت من هنا أو هناك وتم تعميمها على أساس كونها تمثل الإسلام كدين أو المسلمين كأمة.

قد يتساءل البعض وبحدة عن هوية هؤلاء الكتاب الصحفيين الذين لا يترددون في إسعاف وسائل الإعلام الغربية بكل ما تحتاج إليه من مادة صحفية غزيرة تهم كل القضايا الإسلامية المرتبطة بالوقائع والأحداث التي تقع في البلاد الإسلامية أو حتى في البلدان الغربية عندما يتم افتعال أزمات سياسية أو اجتماعية معينة. وقد يتساءل القراء أيضا عن طبيعة التكوين المعرفي لهؤلاء، وهل يمكن اعتبارهم مستشرقين ما داموا يظهرون للجميع أنهم باتوا يفهمون الإسلام ويستطيعون تحليل أنماطه السياسية والاجتماعية وأبعاده الفكرية والثقافية ، وما دامت أيضا كل الشبهات والافتراءات التي يثيرونها من حين لآخر هي عينها تلك التي طالما رددها المستشرقون التقليديون في كتبهم المتخصصة.

إن الاستشراق الصحفي يعتبر أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة التي ينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحفيين المختصين في شؤون الإسلام والمسلمين ،

وتعتبر تغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ذات الطابع الإسلامي أبرز اختصاصاتهم ،فهم لا يتوانون في تزويد المؤسسات والشبكات الإعلامية التابعين لها - على وجه السرعة والاستعجال- بمقالات وتحقيقات واستطلاعات مثيرة للغاية ومتسمة بالطابع التجاري المحض ، تعتمد على عامل الإثارة الذي يستدعي من هؤلاء تشويه الحقائق والغلو في الأحكام والاستنتاجات وَلَيِّ أعناق النصوص وتحريف الوقائع بشكل يثير الاستغراب هادفين من وراء ذلك إلى تحقيق أكبر مستوى من الانتشار السريع لأعمالهم وتحقيقاتهم وبشكل أوسع . وتميل دراسات القوم إلى كثير من السطحية والتعميم بالرغم من ان مستندهم الأساسي في إثارة الشبهات والافتراءات هو ما يكتبه المستشرقون المتخصصون لأن خلفياتهم الثقافية في ميدان الإسلاميات ضعيفة ولا ترقى إلى مستوى يخول الحديث والنقاش حول قضايا دقيقة ترتبط بالتشريعات الإسلامية والتاريخ الإسلامي ، ولذلك فهم عالة على كتابات المستشرقين المتخصصين .غير أنه إذا كان المستشرق المتخصص لا يورد الشبهة إلا بعد أن يمهد لها بما يبرر ويسوغ النتيجة التي يرمي إليها بكثير من اللباقة والتحايل في لي أعناق نصوص السيرة ، فإن المستشرق الصحفي يقتصر على إيراد تلك الشبهات مجردة من كل

دليل مهما كان متهافتا[١] ، مما يجعل التحقيقات الصحفية تبدو في شكل استعراضات باهتة لوقائع إسلامية لا يربط بينها أي رابط سوى كونها تمثل أبرز المحطات و"الفلاشات" المبثوثة في كتب مغرضة يزعم فيها مؤلفوها انهم قد التزموا الموضوعية والنزاهة والحياد ، وهيهات لهم ذلك.

ولم يع أولئك المستشرقون الأكاديميون الذين يشتكون من ظاهرة " الاستشراق الصحفي" الذي أصبح يزاحم معاقلهم أنهم أسهموا بشكل أو بآخر في تكوين وتأهيل أولئك الصحفيين الذين ما فتئوا يقتاتون من موائدهم ويتزودون بأفكارهم واطاريحهم ، وهذا ما يتبين من خلال معظم التحقيقات والملفات التي ينجزها هؤلاء ، ويبقى أولئك الصحفيون أبعد ما يكونون عن معرفة حقيقية بالإسلام ومجتمعاته ، فهذا الصحفي الفرنسي الشهير بول بالطا Paul Balta الذي عمل طويلا مراسلا لجريدة (لوموند) الفرنسية بالبلاد العربية يقول وهو الأستاذ المحاضر في مدرسة إعداد الصحفيين بباريس :

"إن طلاب هذه المدرسة من حملة الإجازة في العلوم الإنسانية - وكم يؤسفني ان معظمهم لم يسمع بابن خلدون... فهم يقطعون مسافات في حياتهم من دون ان يلتقوا بالإسلام أو بالعالم العربي" [٢].

---

(١) د حسن عزوزي :دراسات في الاستشراق ومناهجه ،الطبعة الأولى ١٩٩٩ ص ,٦٣

(٢) في حوار معه بجريدة لوموند ، العدد ١٣٧٦٢ (١٩٨٩/٠٤/١٤).

ولقد أخذ كثير من المستشرقين الصحفيين يعززون مواقعهم الثقافية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية ، وهي دراسات تكون مقترحة وممولة من طرف مراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية التي تعمل على تكوين خبراء مناطق لايتم ابتعاثهم إلى المنطقة العربية المحددة إلا بعد ان يلقنوا ويشحنوا بكم هائل من الأفكار المسبقة والمقولات الخاطئة في حق الإسلام والمسلمين،وكثيرا ما يرسل المستشرق الصحفي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أي إعداد أو خبرة تؤهله للمهمة المناطة به،بل يكمن المؤهل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء والأحداث بسرعة.

ان مما نود التأكيد عليه مرة أخرى هو أن دراسات وأبحاث هؤلاء تعتبر الأصل والركيزة الأساسية التي تعتمدها وتستغلها مختلف وسائل الإعلام الغربية في اعتمادها لسياسة التخويف من الإسلام وذلك بالارتكاز على أبحاث ودراسات المستشرقين الصحفيين النزاعة إلى التهويل والترويع من كل ماله صلة بالإسلام، والميالة إلى اتهام الإسلام كدين وحضارة بكل النعوت القدحية والسلبية بمجرد أن يمارس شخص ينتسب إلى الإسلام عملا إجراميا معينا. والجدير بالتنبيه ان وسائل الإعلام الغربية لا تتردد في ان تضفي على الصورة القاتمة للإسلام التي

أفرزها أولئك الصحفيون نوعا آخر من التضليل والتمويه ، وهكذا تزود الصحافة الغربية مستهلكي الأخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الإسلام وواقع المسلمين دون ان تشعرهم بأن القسط الأوفر من تلك التغطية انما تقوم على مادة إعلامية هي ابعد ما تكون عن الموضوعية والنزاهة . وبذلك تتم تغطية الإسلام في الصحافة الغربية على أساس ما يكونه الاستشراق الصحفي من صور نمطية موغلة في التشويه والتضليل تعمل على تكريس نزعة التخويف من الاسلام وتصويره وفق قوالب محددة بالغة التعميم دين الإرهاب والعنف والتطرف والتعصب تم الاعتماد في انتاجها على حفنة من "الكليشيهات" الرائجة الانتشار والقابلة للتصديق.

أصحاب نظرية الصدام الحضاري وخرافة حتمية الصراع بين الإسلام والغرب

لا يخفى على كل من دأب على متابعة تداعيات اعتداءات ١١ شتنبر ٢٠٠١ على الفضائيات الغربية أن عددا كبيرا من الكتاب الصحفيين والمعلقين الغربيين قد استعادوا فكرة (صدام الحضارات) التي سبق أن أطلقها الخبير الأمريكي صمويل هنتنجتون[١] ولسان حالهم يقول : حانت لحظة المواجهة ،و ها هو الإسلام يحاول الانقضاض على الحضارة الغربية.

إن مما لا شك فيه أن من أبرز الأسباب الجوهرية التي ساهمت في تكريس سياسة التخويف من حضارة الإسلام على أساس الزعم بكونها حضارة صدامية وإرهابية ما يدأب بعض الخبراء الاستراتيجيين والمستشرقين الغربيين على نشره من تقارير ونظريات توهم بأن الإسلام سوف يكون حتما العدو الأكبر للغرب في العقود القليلة القادمة.

وبانهيار الاتحاد السوفياتي والايديولوجيا الشيوعية لم يعد الغرب يطيق إثبات وجوده وقوته وهيمنته من دون عدو بديل يناصبه العداء ، لذلك ، ومع تصاعد الظاهرة

---

(١) مجلة منبر الحوار العدد ١٩٩٤/٣١ ص ٢٣.

الإسلامية في العقدين الأخيرين خاصة مع بروز الصحوة الإسلامية وظهور حركة الجهاد الأفغاني ، وبالتحديد مع بزوغ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ بدا للغرب ان الاسلام كدين قد برز من جديد على الساحة عدوا بديلا تجب مجابهته ومواجهته . إن الغرب يرى ان دور الدين - بالشكل الذي يتمثله الإسلام- قد عاد مجددا ليقتحم مجال التفاعلات الحضارية والعلاقات الدولية ، خاصة بعد تنامي حركات الوعي الديني والاعتزاز بالانتماءات الحضارية، يقول المستشرق الفرنسي دومينيك شوفاليه D,Chevalier: "العالم اليوم لا يجنح إلى العالمية كما يتصور البعض ، فهناك تأجج القوميات ، كما أن هناك صعودا للروحانيات الدينية"[١] .

ومما لا شك فيه ان الغرب المادي يخشى على كيانه وحياضه من نفوذ تلك الحركات الدينية المنتعشة في كل مكان وعلى رأسها الحركات الإسلامية، وعلى هذا الأساس بنى الخبير الأمريكي صمويل هنتنجتون Samuel Hinting-ton نظريته المتشائمة عندما أكد على أن الإسلام يعتبر أبرز كيان حضاري وديني سوف يصطدم بالحضارة الغربية[٢]، نظرا لما تملكه روح الثقافة الإسلامية من قدرة

(١) مجلة منبر الحوار العدد ١٩٩٤/٣١ ص ٢٣.

(٢) تتم الإشارة إلى الحضارات الأخرى وهي حوالي سبع حضارات أومأ إليها هنتنجتون ،لكنها حضارات محلية لا تملك إمكانات التأثير والمنافسة والنفوذ.

على استقطاب النفوس الحائرة والشباب المتشكك في قيم الغرب ومثله ، حتى أضحى الإسلام بذلك مرجعا روحيا جذابا يخشى الغرب من تنامي قوته وثقله في المستقبل .لذلك فإن التخويف منه عن طريق إفراز وإنتاج نظريات متشائمة تحذر من الإسلام وحضارته يعكس مبلغ حدة عقدة الخوف لديه ، ويؤكد هنتنجتون على ذلك بشكل مقارن وذلك عندما يصف الحضارة الكونفوشيوسية التي يجعلها على قدم مساواة مع الإسلام في الصراع مع الغرب بأنها خطر بطيء معتدل في حين ينعت صحوة الإسلام بأنها صحوة متوحشة مفترسة ، وهذه المقارنة المقصودة إن دلت على شيء فإنما تدل على رغبة في الإيهام بأن الإسلام وحده يبقى العدو المنافس والخطر المحدق بحضارة الغرب وقيمه.

واللافت للانتباه أن نظرية هنتنجتون لا تقوم على أدنى أساس من المعرفة بأسس الإسلام السلمية وموقفه من الحضارات والثقافات الأخرى ، فهي نظرية تكرست في أجواء محمومة من الحيطة والحذر من قوة الإسلام الروحية ومبادئه ، مما مكن من إبداء نوع من الكراهية والحقد تجاه حضارة الإسلام ، وإذا أضفنا لكل هذا محاولة الغرب لاستعادة ذاكرة الصراع بين الاسلام والغرب عبر التاريخ ودخول الإسلام بقوة ضاربة إلى عقر الديار

الغـربيـة (تخـوم بـواتيـه Poitiers بفـرنسـا جنـوبا ، وأبواب فيينا «عـهـد الإمـبـراطورية العثـمـانيـة» شـرقـا) ، فإننـا نعلم عندئـذ مـا يمكـن ان يعكســه ذلك من تـخـويف مـن الإســلام وتحذير كبير من قوته الروحية الخارقة.

ويبدو أن الاهتمام البالغ الذي لقيته نظرية هنتنجتون واللغط الواسع الذي أحـدثتـه ، كل ذلك سـاهم في دفع الرجل إلى التـمـادي في إعـلان مـوقـفـه وآرائه بجـرأة وصـراحـة[١] غـيـر آبه بما يشكله ذلك من قـوة تحـريك وإيقـاظ لمكامن البـغض والكراهيـة والحـقـد لدى كـثـيـر من الجـهـات والأطراف الغـربيـة التي لن تتـوانى في اعـتـمـاد النظرية كوثيقة أسـاسيـة لإعـادة بناء أسس التعامل الغربي مع المسلمين خاصـة عندمـا نجـد الرجل يروع من الاسـلام ذاته فـيـقـول :"الخطر ليس في المتطرفين الإسـلامـيين فـحـسب وإنمـا في الديانـة الإسـلامـيـة ذاتهـا"[٢]. وهنـا لا نملك سـوى القـول بأن الخـبيـر الأمـريكي مـيـال ونزاع إلى الإثارة عن طريق فـرض نظرة متشـائمة بالغـة التعتيم وغير مبنية على أي أسـاس ، فهو عندما تحول من اتهام المسلمين إلى اتهـام الإسـلام ذاته أراد أن يوهم القـراء وصنـاع القـرار

---

(١) تم له ذلك بعد ان طور البحث المنشور بمجلة الشؤون الخارجية Foreign affairs الامريكية عام ١٩٩٣ إلى كتاب حمل عنوان :" صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي".

(٢) p34 Samuel huntington : Le choc des civilisations - paris 2001

الأمـريكان بأنـه خبـيـر بمعطيـات الإسـلام التـي يزعم انهـا تتـضـمـن بذور العنف والتـخـويف والتـرويع ، وهذه دعـوى كـاذبة ، فـهنتنجـتـون ليس مستـشـرقـا بالمعنى الاصطلاحي للفظة ، ولا عـارفـا أو ملمـا بأحكام الإسـلام وقـيمـه ، فـهو أسـتـاذ العلوم السـيـاسـيـة وخبـيـر بالأبحـاث الاسـتـراتيـجـيـة ، وبالتـالي فإن معـرفتـه بالإسـلام سطحيـة جدا ، ولا نجـازف الحـقـيـقـة إذ قلنا بانه لا يعـرف عن الإسـلام سـوى "كليشيهـات" معينة صـاغتهـا وسـائل الإعـلام الغـربيـة ومـا يسمعه هنـا أو هنـاك عن تصرفات فردية أو جماعية لفئات مـعـدودة من المسلمين لا يمثلون قطعـا صـورة الإسـلام الحقيقية ولا يعبرون بتاتا عن واقع الدين الإسلامي.

إن بعض أحداث العنف التـي تقع من حين لآخر وتقف وراءهـا الحـركـات المنتـسـبـة للإسـلام هـي التي تغـذي فكرة التخويف من الإسـلام لدى أمثـال هنتنجتون ، فتكون بذلك كـافـيـة للحكم على جمـيع المسلمين بـأنهم أعداء الحـضـارة الغـربيـة الألداء ومـصـدر الـرعب والخـوف الذي لا يؤمن جانبه ، إنه يراد تصوير المسلم وكأن بداخله إرهـابيا صغيرا ينتظر لحظة الانطلاق فـي كل وقت وحـين ، أمـا الإسـلام فيجب أن يوضع في قفص الاتهـام على اعتبـار أنه مصدر خطورة على الحضارة الغربية .

من جهة أخرى يجب ان نعلم - وقد كثر الحديث عن

نظرية هنتنجتون- أن فكرة الصدام بين الإسلام والغرب لم يستأثر بترويجها الخبير الأمريكي فحسب، إذ ظهر قبله وبعده كثير من رموز النظرة العدائية للإسلام بأفكار مشابهة ونظريات موغلة في التشاؤم والتحذير من الإسلام والمسلمين .

فبرنارد لويس مثلا المعروف بمواقفه المناوئة للإسلام سبق أن ألقى محاضرة في موضوع: "الأصولية الإسلامية" في نهاية عام ١٩٩٠ (قبل ظهور نظرية هنتنجتون بثلاث سنوات) أثارت زوبعة هائلة تنبأ فيها بحتمية الصراع بين الإسلام والغرب ، وإمعانا من الرجل في إثارة نزعة التخويف والتحذير من الإسلام أبى إلا أن يعزو أسباب ذلك الصراع إلى "جوهر" دعوة الإسلام ذاته التي يزعم أنها ترفض الآخر وتبغي الاختلاف وتكرس الرؤية الاستبدادية وتبعث على الخوف والحذر[(١)] .

وفي مقالة أخرى له بعنوان :"جذور السعار الإسلامي نشرها بمجلة Atlantic Monthly في نفس العام[(٢)] تحدث برنارد لويس مرة أخرى عن حتمية الصدام بين الإسلام والغرب مذكرا بمسيرة أربعة عشر قرنا من الصراع -

---

(١) هذه الاتهامات والدعاوي تتضح بها كتب الرجل وأبحاثه ، لكنه يعبر عنها بكثير من التحايل والتمويه ، مما يخفى على غير القلة من المتخصصين.

(٢) سبق أن أشرنا إلى أنه تم تعريبها ضمن كتاب "الاسلام الأصولي" لبرنارد لويس وادوارد سعيد، دار الجيل ١٩٩٤.

حسب زعمه- بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، يقول:"لقد بدأ الصراع مع الأيام الأولى للإسلام في القرن السابع واستمر عمليا حتى يومنا الراهن وقد اشتمل على سلسلة طويلة من الهجومات المضادة ، أعمال الجهاد والحملات الصليبية ، الفتوحات والفتوحات المضادة، وطوال السنوات الألف الأولى كان الإسلام متقدما وكانت النصرانية في حالة تراجع وتقهقر مما عرضها للخطر"(١) .

وفي سياق تحذيره من شبح العالم الإسلامي أكد لويس على أن أمريكا وحضارتها قد أمست فجأة العدو الأول للإسلام وأن المسلمين عامة قد أخذ يستبد بهم شعور حاد وعنيف من الغيظ ضد الغرب. ولاشك أن مثل هذا الاعتقاد الذي يحاول صاحبه إيهام الغربيين بصحته وواقعيته قد وجد انتعاشا وتقبلا واسعيين غداة تفجيرات الثلاثاء الأسود في أمريكا ،ولا يمكن إلا أن نتوقع انكباب الخبراء الاستراتيجيين الغربيين وخاصة بأمريكا على دراسة وتحليل تلك الأحداث وربطها بالإسلام وحضارته من خلال إنضاج تقارير ودراسات اسراتيجية جديدة تنفخ من جديد في دعوى ارتباط الإسلام بالعنف والإرهاب وترويع الآخرين.

---

(١) الإسلام الأصولي ص, ١٤

وبذلك يتم الإمعان والتأكيد على ان الإسلام قد بات يشكل قوة عدائية كبيرة تخوف وتروع الغرب وتهدده في مصالحه وقيمه، بل أصبح منافسا لدودا يهدد التراث الديني والحاضر الإقليمي والامتداد العالمي لهما، يقول برنارد لويس:"ويجب ان يكون واضحا الآن اننا نواجه تيارا وحركة تتجاوزان بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تلاحقها ، ان هذا ليس شيئا أقل من صراع الحضارات ، انه رد فعل -ربما غير عقلاني- لكنه تاريخي لمنافس قديم موجه ضد ميراثنا اليهودي - المسيحي وضد حاضرنا الراهن وضد امتدادهما العالمي ، وإنه من الأهمية بمكان ألا نسمح من جانبنا باستفزازنا للقيام برد فعل تاريخي مواز -إلا انه غير عقلاني-ضد ذلك المنافس" [١].

بعد عام من صدور مقالة لويس (أي في عام ١٩٩١) أصدر الفرنسي جان كلود بارو J,C Barreau كتابا يحمل عنوان :"حول الإسلام عموما والعالم الحديث خصوصا" [٢] ، صب فيه جام غضبه وحقده على الإسلام الذي أبى إلا أن يظهره دينا لا يستحق أدنى اهتمام ، إلا أنه-حسب رأيه- يخيف ويكتسح وله نفوذه وتأثيره وجاذبيته ، وفي حوار

---

(١) جذور السعار الإسلامي ، ضمن كتاب " الإسلام الأصولي" ص ٢٣.

(٢) Jean Claude Barreau : De l'Islam en général et du monde moderne en particulier Paris1991.

أجرته معه جريدة Le Figaro بتاريخ ١٩٩١/٩/٢٤ حاول الرجل ان يبدد مقولة " الخوف من الإسلام" لا لشيء إلا لكون هذا الدين -كما يقول- لا يرقى إلى مستوى حضاري لائق يجعله ندا للأديان أو الحضارات الأخرى، فهو دين متخلف ومتجاوز لا يستطيع مجاراة الحداثة والتطور ، وبالتالي فلا شيء فيه يخيف أو يروع ، ويصعب علينا اقتباس عباراته اللاذعة والقادحة في حق الإسلام الذي ينعته بأبشع النعوت التي كان مستشرقو القرون الوسطى يطلقونها بعشوائية موغلة في التضليل والتمويه.ولعل خروج الكتاب الذي لفظه الفرنسيون أنفسهم قبل غيرهم من المسلمين عن أدنى قواعد اللباقة والتزام الحدود والضوابط المطلوبة في عصر حوار الحضارات هو الذي أفقد صاحبه منصبه كمكلف بمهمة بالإليزيه بباريس ، وذلك في نفس الشهر الذي صدر فيه الكتاب ، لكن - بالمقابل- أبت الجهات المناصرة لحرية التعبير والمناوئة للإسلام والمسلمين إلا ان تكرم الرجل وتعوضه عن خسارته لمنصبه بمنحه جائزة تقديرية على الكتاب [(١)] .

هكذا إذن يتم تنازع الرأي حول الإسلام ومدى ما يحمله من حمولة تخويفية - كما يزعمون-، ويكفي القول بأن حدة الجدال التي تناقش بها مسألة قوة الاسلام

---

(١) نظر تفاصيل ذلك بجريدة Le Figaro ليوم ١٩٩١/١١/١٥.

وتأثيره في الساحة الدولية تعكس شدة التخوف والتوجس من الإسلام . يقول إدوارد سعيد في كتابه " تغطية الإسلام : " لقد غدا الإسلام اليوم بالنسبة إلى الجمهور العام في أمريكا وأوروبا أخبارا بغيضة بشكل خاص ، وتنضوي وسائل الإعلام والحكومة والاستراتيجيون الجغراسيون[(١)] والخبراء الأكاديميون المختصون بالإسلام - وان يكن هؤلاء هامشيين بالنسبة لمجمل الثقافة -في جوقة واحدة متناسقة : الإسلام تهديد للحضارة الغربية"[(٢)] .

إن الحديث عن الإسلام كخطر يتهدد الغرب ويجابهه فيه مبالغة شديدة وتمييع لحقيقة الإسلام وروحه السلمية وتجاهل بطبيعة علاقاته مع الآخرين ، وتاريخ الإسلام كفيل بدحض كل دعوى أو افتراء بخصوص الزعم بعدوانية الحضارة الإسلامية ، فالإسلام قد عرف من اللقاءات ومجالات الحوار والتعايش أكثر من حالات الصدام والصراع ، وإن يكن قد حدث شيء من هذه فإنما لظروف الحرب التي كانت تقع من حين لآخر ، كان فيها العدو سباقا إلى المناوشة والدعوة إلى المواجهة ، يقول الأستاذ أنور الجندي :

---

(١) نسبة إلى الجغرافية السياسية Geopolitique

(٢) تغطية الإسلام ص ١٥٩.

" لقد عرف الإسلام في تاريخه كله لقاء الحضارات وعرف لقاء الأجيال ولم يعرف الصراع لحظة واحدة في تاريخه كله ، ولقد أعطى الإسلام المجتمعات الغربية كل ما عنده من العلوم والتجارب وذلك لإيمانه بأن العلوم والمعارف هي من حقوق البشرية ، ولذلك استطاع الغرب أن ينقل العلوم التجريبية بينما لم يفعل ذلك بعد أن اصبح نماء هذه العلوم في يده ، بل لقد حجب عن المسلمين كتب التراث في خزائنه وما يزال يحجب عن المسلمين مقدرات العلوم حتى يحول بينهم وبين الوصول إلى مرحلة الانتفاع الحقيقي ، وذلك إيمانا منه بان يظل عالم الإسلام مرتبطا به ارتباط تبعية... ومن هنا جاءت فكرة صراع الحضارات مرتبطة بفكرة الصراع العامة التي يفرضها الغرب على مجتمعات المسلمين حيث لا يسمح لهم بان يمتلكوا إرادتهم أو يقيموا حضارتهم المستقلة ومجتمعهم الخاص"(١) .

إن اللهجة العنصرية والحديث عن صراع الحضارت هما المادة الفكرية التي تخلق أرضا خصبة للإرهاب ، والنظرة الفوقية التي نسمعها بين حين وآخر من بعض مفكري مراكز الدراسات والبحوث في الغرب (٢) ، بل من

---

(١) أنور الجندي :"صراع الحضارات بين موقف الغرب وموقف الإسلام" مجلة المجتمع الكويتية،العدد ١١١٠. (٩٤/٨/٢) ص ٥٥ .

(٢) من ذلك على سبيل المثال موقف " هنري كيسنجر" وزير الخارجية الأمريكي السابق الذي نشرت له جريدة "الشرق الأوسط" في عددها رقم ٨٣٢٨ (٢٠٠١/٩/١٦) أي خمسة أيام بعد أحداث أمريكا مقالا يمثل نموذجا صارخا =

بعض السياسيين أيضا[1] ، تشكل تهديدا لأية جهود مخلصة لمكافحة الإرهاب بشتى أشكاله.

وبدون منطق استعلائي أو فوقي نقول بأن مجتمعاتنا العربية والإسلامية تختزن في تاريخها وحاضرها رصيدا مشرفا من مبادئ السلم والتسامح والحوار والإيمان بقيم المحبة والإخاء والمساواة بين جميع الشعوب ، وهي مبادئ تقوم على أسس دينية سامية جعلت من الإسلام دينا قويا ومتينا وخالدا ، وهو ما لا يستطيع الغرب استيعابه لأن المنطق الذي يحكمه لا يرقى إلى مستوى فهم مكامن القوة والعزة في ديننا الحنيف، ولعل هذا هو السبب الذي دفع إلى تكريس الغرب لنظرية الصدام الحضاري.

= للمنطق المنحاز وعقدة الاستعلاء ، ومما جاء في مقاله قوله : "ان الكارثة (أي تفجيرات ١١ شتنبر) توفر القناعة بأن بعض افتراضات العالم المعولم التي تؤكد قيم التوافق والانسجام والمزايا النسبية لا تنطبق على ذلك الجزء من العالم (يقصد العالم العربي والإسلامي) الذي يلجأ إلى الإرهاب ، وان ذلك الجزء مدفوع بالكراهية العميقة للقيم الغربية..."

(١) مثل موقف سلفيو برلسكوني رئيس الوزراء الإيطالي الذي أعلن بعد أسبوعين من أحداث أمريكا، وفي ظل أجواء الحقد والكراهية التي طالت العرب والمسلمين في البلدان الغربية عن ان القيم والمثل التي تجسدها الحضارة الغربية المتقدمة تنعدم في الحضارة الإسلامية ، وقد اعتذر عن ذلك التصريح بعد ضغوط دولية وعربية.

الفصل الرابع:

سياسة التخويف من الإسلام

أبيض

هل هناك فعلا تخويف من الإسلام يمارسه الغرب عبر مختلف القنوات الإعلامية والثقافية والسياسية ، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون توهما بحصول نزعة تخويفية قد لا تكون في واقع الأمر سوى نتيجة طبيعية لعداء تقليدي حاصل بين الإسلام والغرب استمر لعدة قرون.

قد يعترض معترض فيقول : إننا لا نرى أن ثمة أسبابا جوهرية تدعو الغرب المستأسد والمهيمن إلى الخوف أو التخويف من دين يعتنقه أتباع ينتمون إلى دائرة العالم الثالث ، هنا يحق لنا القول بأن الأمر لا يرتبط حتما بعلاقة الغرب بالمسلمين بقدر ما يرتبط بمدى احتدام التنافس المزعوم بين الغرب والإسلام . وقد تبدو العلاقة –لأول وهلة– قائمة بين طرفين غير متقابلين وبالتالي غير متجانسين، فالإسلام كدين تتم مقابلته بالغرب كرقعة جغرافية تتقاسمها دول كثيرة وديانات مختلفة ، لكن الملاحظ أن الغرب دائما –لا النصرانية– هو الذي يوضع موضع التنافس والعداء ضد الإسلام ، وذلك لأن مفهوم الغرب يكتسي أهمية دينية وحضارية بالغة ، إضافة إلى افتراض كونه –أي الغرب– أكبر من النصرانية التي تجاوز مرحلتها .

إن هناك أسبابا عديدة تدفع الغرب لكي يلتجئ إلى سياسة التخويف من الإسلام ، فانهيار المعسكر الشيوعي

الذي كان يشكل العدو الرئيسي للمعسكر الغربي جعل هذا الأخير لا يقوى على الاستمرارية والتلاحم وإثبات الوجود والقوة إلا عن طريق إيجاد عدو آخر بديل رشح الإسلام لكي يلعب دوره . ولا ننسى من جهة ثانية ما ينضجه بعض الخبراء الاستراتيجيين في أمريكا وأوربا من تقارير ذات صبغة جغرافية سياسية تحمل في طياتها نذر التخويف من الإسلام كدين كاسح وجارف يهدد أمن المنظومة الغربية بكل تجلياتها وإفرازاتها ، وبعض تلك التقارير تمخضت عنها نظريات موغلة في التشاؤم والتحذير من خطورة الإسلام واعتباره أحد طرفي الصدام الحضاري في العقود القليلة المقبلة.

إن الخوف من الإسلام أو ما يعرف بمصطلح "الاسلاموفوبيا"[(١)] Islamophobie وهو المصطلح الأجنبي المعبر عن تلك النزعة قد أصبح حالة مرضية يعاني منها الغرب خاصة بعد تفجيرات ١١ شتنبر ٢٠٠١، ويسعى بكل الوسائل إلى التعبير عنها عن طريق العمل على تحجيم دور الإسلام في دائرة التفاعل الحضاري المعاصر والتخويف

---

(١) الكلمة مكونة من شطرين "إسلام"+"فوبيا" ولفظة "فوبيا" phobie تعني أصلا الخوف غير المبرر والمقلق الذي يبديه بعض الناس في أوقات حرجة ، وأصلها كلمة phobos الإغريقية التي تعني:الخوف .

وقد استعملت لفظة "إسلاموفوبيا"بكثرة في الدلراسات النقدية للاستشراق وذلك عندما يتم التمييز بين استشراق إسلاموفوبي Islamophobe واستشراق اسلاموفيلي Islamophphile (متعاطف ومعتدل)..

منه فضلا عن الإحجام وعدم إرادة المعرفة بالإسلام الصحيح والأصيل مما لا يزال يتحكم بالسياق التاريخي لعلاقة الغرب بالإسلام .

وسنتحدث عن سياسة التخويف من الإسلام من الغرب من خلال المباحث الأربعة التالية.

أبيض

سياسة التخويف من الإسلام

فـــي الإعـــلام الـغــربي

يشكل الإعـلام الغربي بكل مكوناته من صـوت وصـورة وكلمـة وكـاريكاتور أبرز قنوات الاتصـال التي تنتج وتفـرخ سيـاسـة التـخـويف من الإسـلام في ديار الغرب . فـهي بما تمتلكه من إمكانـات جبارة وقدرة هائلة على الانتشار وقـوة الجـذب والتـأثيـر اسـتطاعت أن تجـعل الشـأن الإسـلامي ضمن اهتمـامات الإنسـان الغربي ، وبالتـالي فقد أمكنها استغـلال هذا الأمر لترسـيخ صورة إسلام رهيب مـخيف وكاسح في مخيلة المشاهد أو القارئ الغربي . ولبلوغ هذا الهـدف لا يتـوانـى الإعـلام المطبـوع والمرئـي والمسـمـوع في التنافس من أجل التركيز المغالي على كل ما قد يبدو مهددا للغـرب من جـانب الإسـلام والمسلمين، ويتم ذلك عـن طريق الـعـمل على تشـويه صـورة المسلمين وتزييف الـوقـائع والحـقـائق بحـسب المنطلق والأهداف والأطمـاع والمصـالح المتعارضة.

وتعتبـر الصحافة الغـربية أكثر القنوات الإعـلامية إثارة لهـذا الموضـوع ، وذلك من خـلال التقـارير والاستطـلاعـات والملفـات الصـحـفـيـة التـي تتـبـارى الجـرائد والمجـلات في

تقديم أكثرها اجتذابا وتأثيرا وأوفرها إثارة ولفتا للانتباه .

وتتم تغذية تلك التقارير والملفات بما يجعل القارئ الغربي تأخذه الدهشة ثم الحذر والخوف ، فالإحصائيات المبالغ فيها عن كثرة المساجد الموجودة ببلاده مثلا أو عن ازدياد نمو الجالية المسلمة المقيمة على أرض بلاده والتوقعات المستقبلية لاحتمال تواجد إسلامي قوي بالغرب، كل ذلك يساهم في إذكاء مشاعر الخوف والتوجس في صفوف الغربيين .

ولكي نكون أكثر وضوحا، نشير إلى أن الخبير الفرنسي في شؤون الحركات الإسلامية جيل كيبل Gilles Kepel كان قد أصدر عام ١٩٨٧ كتابا ضخما يحمل عنوان : "ضواحي بلاد الإسلام" (١) ضمنه الحديث بتفصيل عن واقع التواجد الإسلامي بفرنسا . ومن خلال استطلاعاته الميدانية أمكنه استنتاج وجود أكثر من ألف مسجد بفرنسا (وهذا العدد يشمل بطبيعة الحال في اكثر من أربعة أخماسه قاعات للصلاة لا يتجاوز طولها بضعة أمتار)، لذلك كان كافيا التصريح بهذا العدد الكبير لكي يكون له وقعه وأثره السيء في نفس المواطن الفرنسي الذي أمسى يتخيل وجود مسجد أو أكثر في كل ركن من أركان بلدته الصغيرة ، وأذكر ان الصحافة الفرنسية عندما تحدثت عن

---

(١)- Gilles Kepel: Les Banlieus de L'Islam-Paris 1987

الكتاب قبل وبعد صدوره كان أبرز عنوان مثير تصدر الحديث عنه هو" فرنسا بلاد الألف مسجد ومسجد"[1] وهو عنوان له بريقه وجاذبيته تناقلته مختلف الصحف والمجلات سعيا وراء الإثارة والسبق الصحفي وتحريك مكامن الخوف والذعر في نفوس المواطنين الفرنسيين . ان مثل هذه الإثارة المقصودة لا يمكن ان تمر دون ان تعمل عملها في نفسية القارئ الغربي الذي لا يستطيع أن يتقبل مثل هذا.

ولم تتورع الصحافة الأمريكية ومعها الصحافة الأوربية في الاستنجاد بالمصطلحات الرنانة التي يتم اقتناصها ببراعة قصد توظيفها واستغلالها أثناء أوقات الأزمات ونشوب الخلافات مثل مصطلحات " اليقظة الإسلامية" او " الإحياء الإسلامي " او "عودة الإسلام او "الانفجار الإسلامي" وغير ذلك[2] .

وعلى سبيل الإيضاح ، وتحت العنوان الاخير " الانفجار الاسلامي" نقدم مثالين معبرين ، فقد نشر الصحفي الامريكي مايكل والتزر مقالته " الانفجار الإسلامي" في النيوريبليك بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٧٩ أي

---

(١) انظر على سبيل المثال مجلة لونوفيل أو بسرفاتور عدد ١١٩٦ (أكتوبر ١٩٨٧).

(٢) معظم تلك المصطلحات البراقة تجد طريقها وبسهولة إلى أغلفة اعداد المجلات التي تتضمن الحديث عن الاسلام ، بل هناك كتب ضخمة تحمل عناوين مماثلة ، كما هو الحال في كتاب " عودة الاسلام " le retour de l'Islam لبرنارد لويس.

عند فجر الثورة الايرانية تناول فيها عددا ضخما من الوقائع والأحداث التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين وأكد على عنصري العنف والغلو في غالبيتها مؤكدا بشيء من الالحاح على ما وقع بايران وفلسطين ولبنان ، وقد خلص بعد سرد تلك الوقائع بكثير من التشويه والتمويه إلى القول بأنه من الممكن تفسيرها كوقائع لشيء واحد مخيف هو "الإسلام" ،" فهو مرآة كل ما يقع ضد الغرب ، وبالتالي فهو نمط ثابت من القوة السياسية الضاغطة على الغرب ، كما أنه شعور معنوي وديني خلاق لكنه مخيف، فمثلا عندما يقاوم الفلسطينيون الاحتلال الاسرائلي يؤكد صاحب المقالة على أن تلك المقاومة انما هي مقاومة دينية لا سياسية أو مدنية أو تحريرية ، ويبالغ والتزر في التأكيد على أن الاسلام شيء مخيف عندما يصفه لقرائه بأنه " قوة تتخطى المسافات زمانا ومكانا ، والتي تفصل بين كل الوقائع والأحداث التي تقع هنا وهناك".

ويؤكد الرجل في مقالته التي تنضح بالنزعة التخويفية من الإسلام على انه حيثما وجدت الجرائم والحروب والنزاعات الدائمة التي تتخللها الفظائع والأهوال "لعب الاسلام بوضوح دورا رئيسيا" ويخلص والتزر إلى القول بان الاسلام بطبيعته معاد للولايات المتحدة الامريكية وضار

بمصالحها ، كما أن المسلمين اينما وجدوا يكرهون أمريكا ويبغضونها.

من جهة أخرى خصصت مجلة " التايمز" الأمريكية في عددها الأخير من عام ١٩٧٩ صفحتين كاملتين لندوة تحمل عنوان " الانفجار في العالم الإسلامي" شارك فيها سبعة أشخاص : ثلاثة من العالم الإسلامي يقيمون في الولايات المتحدة وأربعة باحثين أمريكين مشهورين بتخصصهم في تاريخ الإسلام ، وكانت جميع الأسئلة الموجهة إليهم أسئلة سياسية يشير كل منها إلى تهديد الإسلام للمصالح الأمريكية ، وخطره عليها ، واستنتجت المجلة من خلال الندوة القول بأنه اذا كان الإسلام يحكم تصرفات المسلمين فليتم التحاور مع الإسلام وجها لوجه ، وأوحت المجموعة الأخيرة من أسئلة " التايمز" بوضوح بأن المنطق والإقناع لن ينجحا ، وعليه، فقد يكون من المحتم اللجوء إلى القوة كملاذ أخير[١].

وهكذا أبانت مقالة والتزر وندوة التايمز عن مدى ومبلغ البغض والكراهية الذي يكنه الإعلام الأمريكي لظاهرة الصحوة الإسلامية ، ويبدو من خلال استعراض الخطوط العريضة لما جاء في كلا التقريرين ان الهدف كان

---

(١) إدوارد سعيد : تغطية الإسلام ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ص١١١.

هو عرض مواقف ازدرائية ترمي إلى إذكاء هاجس اليقظة والحذر ، كل ذلك من أجل إرضاء القراء الذين يملأ قلوبهم الشك والريبة والخوف والتوجس من الإسلام .

إن مثل هذه المقالات والندوات الصحفية التي يطالها كثير من التمييع والتشويه يراد من خلالها ترويج مقولات وشعارات التخويف والتحذير من الإسلام والمسلمين. ولعل أبرز ما يحكم تلك التصورات الموغلة في التشاؤم ظاهرتان أساسيتان هما :

– ظاهرة توجه التيار الإسلامي الجديد في الغرب إلى ممارسة دور سياسي متعاظم ينمو شيئا فشيئا ، ويمثل أهمية كبرى ما فتئ الخبراء الاستراتجيون والمستشرقون الغربيون يدرسونها تحت يافطة " الإسلام السياسي".

– ما يسمى ظاهرة " التطرف الديني" التي يحلو للغربيين ان يبالغوا في توصيفها وتحليلها وذلك بإلصاق تهم العنف والإرهاب والتعصب بكل ما يمت إلى الإسلام والمسلمين بصلة من غير تمييز أو تفريق .

يقول برنارد لويس Bernard lewis الاستاذ بجامعة برنستون الامريكية وهو يرمي إلى ذلك: " الإسلام قوة جبارة جدا ، وإذا كان الإسلام لم يلعب دوره في المجال الدولي فما ذلك إلا لفقدان القيادة التي تستطيع القيام بذلك ولكن ظهور هذه القيادة محتمل جدا . إن وصول

الإسلام إلى مركز القوة أمر له خطورته،فهل سيتسامح الإسلام مع غير المسلمين ؟ هل سيتسامح مع اليهود في إسرائيل أو النصارى في لبنان أو مع أوربا ذات الخلفية الصليبية"[١] .

إن الإسلام من منظور أجهزة الإعلام الغربية يبدو دينا يتسم بالانغلاق والجمود ، ويثير الخوف والرعب ، ومن هنا تكمن ضرورة تقزيمه وتحجيم دوره وذلك عن طريق جعله مادة استهلاكية في وسائل الإعلام من أجل التأثير بشكل سلبي على تشكيل الرأي العام الغربي وحتى العالمي في رؤيته للإسلام. ولعل هذا ما اتضح بجلاء بعد أحداث أمريكا حيث أصبح (الإسلام) يشكل مادة دسمة في مختلف وسائل الإعلام التي برعت في إلصاق تهمة الإرهاب به وبأتباعه مما فاقَمَ من حدة الاهتمام والمتابعة لكل ما يرتبط بالعالم الإسلامي الذي أضحى منبع الخوف والريبة بالنسبة للغربيين.

وتعتبر سياسة التخويف من الإسلام أنجع السبل من اجل تحقيق الأهداف المرسومة لمجابهة هذا العدو الجديد ومقاومته ، وهذه السياسة الجديدة التي تفتقت عنها أذهان الغربيين لها آلياتها ومناهجها ، فلا يعزبن عن البال

---

(١)- Bernard Lewis: Le retour de l'Islam,ed Gallimard - Paris 1985 p89.

مثلا ان التغطية الإعلامية للإسلام في الغرب ترتبط في جميع مراحلها وخطواتها بالتعمية والتمويه مما يعتبر إفرازا للأدلجة وغياب إرادة المعرفة ، إذ لم يكن استهداف الحقيقة يوما ما غاية الإعلام الغربي في تغطيته للإسلام ، فهو لا يريد الاستئناس بالمرجعية الأصيلة التي تؤرخ لهذا الدين وتبين حقيقته وطبيعة مبادئه وقيمه ، كما لا يهمه تقديم الإسلام وتشكيله للرأي العام في قالب يبدو للمتتبع الحصيف أبعد ما يكون عن واقع الأمر وحقيقته مع أنه قد بات أمرا طبيعيا طرح أي رأي كائنا ما كان في حق الإسلام والمسلمين عبر شاشات التلفزيون او عبر الصحافة المكتوبة الغربية كي يسود المشاهدين والقراء على السواء قابلية لا مثيل لها لتقبل تلك الآراء المتحاملة والخاطئة والدعوات التخويفية المثيرة بشرط ان تكون جديدة وطريفة غير تقليدية أو شائعة التداول،فتصبح بذلك الصورة السلبية عن الإسلام والنزعة التخويفية منه أكثر تمكنا في العقل الغربي .

ولا أحد يجادل في أن " وجبات الإسلام" التي أصبحت تقدم للمشاهد والقارئ الغربي بين الفينة والأخرى - خاصة في أوقات الأزمات- قد تميعت بشكل صارخ زاد من حدتها ما يرافقها من مشاهد وصور تمثل الإسلام والمسلمين في أشكال مقولبة موغلة في التضليل

والتعمية والإثارة ، وهذا ما زاد من إقبال الغربيين على مشاهدة وقراءة كل ما ارتبط بالإسلام ، لذلك كان من الطبيعي ان تدأب الصحافة الفرنسية مثلا على الزيادة من حجم مبيعاتها من الصحف والمجلات بنسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٠٪ كلما كان ملف العدد الرئيسي يتعلق بالإسلام ، فالصحافة الفرنسية يحلو لها كثيرا ان تجعل من الحديث عن الإسلام موضوع "غلاف العدد" ولو كان عدد صفحات التحقيق حوله والمبثوث داخل العدد أقل من عدد الصفحات المخصصة لموضوعات أخرى يحملها نفس العدد . فموضوع "الإسلام" قد أضحى مثيرا وجذابا مما يدفع إلى حبك صورة الغلاف بما يكون اكثر إثارة وتمييعا ولفتا للانتباه.

أما العناوين الطنانة والنعوت الرنانة التي ترفق بالمقالات والتحقيقات الصحفية المخصصة لموضوع الاسلام فهي بالغة التمويه والاثارة وموغلة في الاستفزاز والازدراء.

ونقدم فيما يلي أمثلة موثقة عن ذلك من الصحافة الامريكية والفرنسية.

- "الانفجار في العالم الاسلامي" : مجلة التايمز الامريكية، الأسبوع الثاني من دجنبر ١٩٧٩.
- "الاسلام المقاتل : الزوبعة التاريخية" : النيويورك تايمز (يناير ١٩٨٠)

- "جذور السعار الاسلامي" مجلة اتلانتيك الشهرية ١٩٩٠ (مقال كتبه برنارد لويس)[١].
- "الاسلام في حمى" l'Islam en fièvre ،جريدة لومند الفرنسية،(١٠ أعداد متتالية :٨٩/٤/٤-٨٩/٤/١٣)[٢].
- " فرنسا :هل يجب الخوف من الاسلام ؟"مجلة "حدث الخميس L'evenement du Jeudi العدد ٢٧٠ (٤ يناير ١٩٩٠).
- فرنسا : أرض للاسلام؟" مجلة L'Express ، عدد ١٩٧٥ (١٩ ماي ١٩٨٩).
- صدام الاسلام والغرب " مجلة L'evenement du Jeudi (يونيه ١٩٩٦).
- "الإسلاميون يعلنون الحرب على الغرب" مجلة L'Ex-epess (شتنبر ٢٠٠).

---

(١) تم تعريبها ضمن ابحاث كتاب " الاسلام الأصولي "لبرنارد لويس وادوارد سعيد، دار الجيل -بيروت١٩٩٤/ص٩-٣٣.

(٢) إمعانا في التضليل والتشويه تم ارفاق كل مقال من المقالات العشر برسم كاريكاتوري موغل في الازدراء والاحتقار للاسلام وحياة المسلمين الاجتماعية.

طبقة الخبراء الاستراتجيين
والنـزعـة الاسـلاموفـوبية

كثيرا ما يتساءل بعض مثقفينا العرب عن هوية بعض الخـبـراء البـاحـثين الغـربيين في الشـأن الإسـلامـي ممن يطلعون علينا من حين لآخر بنظريات جديدة وغريبة غالبا ما تكون موغلة في التشاؤم من الإسلام وحضارته ومفرطة في التـحـذير من تنامي قـوته الروحـيـة والبـشـرية وقـدرته الهائلة على الانتشار ومنذرة باحتمال صدامه بالحضارات الأخرى ومنافسته لها . إن أصحاب هذه النظريات أمثال صمويل هنتنجتون الأمريكي وجيل كيبل وجان كلود بارو الفـرنسـيين وغـيـرهم ليـسـوا بمسـتـشـرقين بالمعنى الاصطلاحي للفظ ، فهم ليسوا عارفين أو ملمين بأحكام الإسـلام وتعاليمه كما هو الشأن-إلى حد ما- بالنسبة لدارسي الإسـلاميـات من المسـتـشـرقين، بل هم في غـالب الأحيان إما أساتذة العلوم السياسية والاجتماعية أو خبراء في معـاهد الدراسات الاسـتـراتيـجيـة التي يشـرف عليـها صناع القرار الغربيون . إن معرفة هؤلاء بالإسلام سطحية جدا ، ولا نخالف الحقيقة إذا قلنا بأنهم لا يعرفون عن ديننا سـوى "كليشـيهـات" معينة صاغتها وسائل الإعلام

الغربية ولا تمثل قطعا صورة الإسلام الحقيقية ولا تعبر بتاتا عن واقع الدين الإسلامي الصحيح.. وفي جميع الحالات يعتبر هؤلاء منضوين تحت لواء السياسة الخارجية لبلدانهم فيما يخص التعامل مع العالم العربي والإسلامي.

إن فئة الخبراء الاستراتجيين والجغراسيين المختصين بالإسلام وقضاياه تشكل أبرز فئات ومجموعات العمل على تشكيل وعي يتلاءم ومصالح الغرب وأهدافه ، والمقصود بهؤلاء طائفة من الأكاديميين الغربيين وهبوا لبلدانهم خبراتهم وقدراتهم على تشكيل الصور النمطية والمقولبة للمجموعات البشرية " المدروسة" غير القابلة للتحاور ، فهم يعتبرون خبراء تقنيين يملكون قدرات فائقة وأدوات هائلة ومتينة تؤهلهم لتكوين صورة معينة عن الآخرين ، وتهدف بالتالي إلى تحقيق عملية "كيفية الصنع والتشكيل".

ومنذ عام ١٩٧٩ ازداد إقبال الحكومات الغربية (الأمريكية منها على وجه الخصوص) على تمويل دراسات وأبحاث أكاديمية تهتم بتشكيل وعي بالإسلام يخدم المصالح ويحقق الأهداف ، ولم يعد الأمر مقتصرا على الحكومات بل طال أيضا المؤسسات العلمية والشركات العملاقة[١] ، وأضحت سوق الخبرة في مجال دراسة

---

(١) نخص بالذكر شركات النفط العالمية التي تهدف إلى الحفاظ على مصالحها وأهدافها الاستراتيجية في البلدان الإسلامية عامة وبلدان الخليج على وجه الخصوص..

الإسلام سوقا جذابة وفيرة الربح لها بريقها وشهرتها ، ويتنافس على ارتيادها بقوة كل الذين يستمرئون تسخير معارفهم وتخصصاتهم لصالح السياسة الخارجية لبلدانهم.

وينحصر عمل فريق الخبراء في بحث ودراسة وتحليل الظواهر التي يخلقها الإسلام المعاصر بصورة تستجيب لما يبدو ان المصالح والأهداف الاستراتيجية للغرب تفرضها وتحتاج إليها، والمثير للانتباه ان مجال بحث الخبراء محدود بمجالات معينة تشكل نقاط التحدي للغرب . وبذلك يبقى الإسلام المدروس بعيدا عن واقع الإسلام الحقيقي كدين يعتنقه مليار مسلم ويوفر للفرد ضمانات أمنه وسلامته في حياته الجماعية ، وتتجلى في روحه معان متعددة من السماحة الإنسانية والدعوة إلى السلام العالمي ، بل هو -في عيون هؤلاء- ما تمثله تيارات حركية ونضالية تمارس العنف باسم الإسلام وتوظف شتى الوسائل لتحقيق مطالبها ، وهو أيضا ما تمثله قطاعات محدودة ومعزولة تتبنى أفكارا شاذة وتتحرك في الاتجاه المعاكس بعيدا عن روح الإسلام السمحة. وقد أبانت الأحداث المريعة التي وقعت بأمريكا أن مجرد اتهام شخص أو مجموعة من الأشخاص مباشرة بعد وقوع تلك الهجمات وحتى قبل أن يشرع المحققون في ممارسة مهامهم قد نجم عنه اتهام عارم لدين ذلكم الشخص ومجموعته. ويبدو أن

الخبراء الاستراتيجيين الذين يعملون لحساب السلطات الحكومية هم الذين يسارعون إلى اتهام الإسلام على اعتبار كونه دين عنف وتطرف.

إن عمل الخبراء الغربيين ينصب على بحث ودراسة مثل هذه الحالات والنماذج وتبقى لهم بذلك القوة لكي يستنتجوا ما يحلو لهم من استنتاجات وافتراضات ونتائج تشكل "وعيا" خاصا بالإسلام يتم فرضه وتمريره كي يتقبله الجمهور ، وأما ما عدا ذلك من صور الإسلام الرائعة التي يتمثلها غالبية المسلمين في مختلف أرجاء العالم ، وهي الصور التي تجسد مبادئ السلم والحوار والتفاهم والتعاون والتعايش فانه لا يكاد يلتفت إلى تغطيتها ، والسبب في ذلك هو أن ما يقع خارج التعريف الغربي لما هو "مهم" في الاسلام يجب بحثه وتحليله وتفسيره يعتبر غير ذي صلة بمصالح الغرب وأهدافه الاستراتيجية . إن الذي نهدف إليه هو التأكيد على ان دراسات هؤلاء الخبراء تتسم في مجملها بالنزعة الاسلاموفوبية ، وهي قد لا تبدو واضحة في بعض الأحايين لغير القلة من المهتمين والمتتبعين.

لنأخذ مثالا يفيدنا في إيضاح ذلك ، ففي أواخر السبعينات انعقدت بجامعة برنستون الأمريكية ، وبتمويل من مؤسسة فورد الشهيرة ، ندوة كبيرة في موضوع " الرق وما يتصل به من مؤسسات في إفريقيا الإسلامية" ، وكانت

النتيجة التي تم التوصل إليها هو أن الافارقة غير المسلمين يبدون توجسا وتخوفا من مواطنيهم المسلمين ، وكان من أبرز التوصيات التي تم الإعلان عنها هو تحذير البلدان الإفريقية من الاعتماد على البلدان الاسلامية، لأنها - بزعم الخبراء المشاركين- تدعم المسلمين الأفارقة وتقوي من شوكتهم.

ولا يخفى على كل ذي لب حصيف ما تهدف إليه مثل هذه الندوات -التي يتم أحيانا نقلها عبر شاشات التلفزيون- من إثارة النزعات التخويفية من الإسلام وتسميم العلاقات بين الأفارقة والعرب المسلمين ، ولعل ما يؤكد هذا بوضوح وجلاء خلو لائحة المشاركين في ندوة "الرق" من أي باحث عربي أو مسلم .

إن الخبراء الغربيين المختصين في دراسة الإسلام هم الذين يحددون لحكوماتهم وللشركات الضخمة التي لها تعامل مع البلاد الإسلامية طبيعة المعرفة الواجب تشكيلها عن العالم الإسلامي . إنها معرفة بالغة السلبية وموغلة في التشاؤم ، ويبعث الموضوع المعرف به والمدروس الذي هو الإسلام على كثير من الخوف والحذر وأخذ الحيطة[١] .

---

(١) هذا ما ظهر بجلاء من خلال طروحات وتصريحات الخبير الفرنسي رولان جاكار Roland Jacquard مدير المرصد الدولي حول الإرهاب والتي أعلن عنها من خلال استضافته لمرات عديدة خلال نشرات أخبار القناة الفضائية الفرنسية TV5، وذلك طيلة الأسبوع الأول الذي أعقب الاعتداءات المروعة التي أصابت أمريكا يوم ٢٠٠١/٠٩/١١.٤٨٢ .

وتقوم هذه النزعة الترويعية التي تصنعها فئة الخبراء الغربيين على توفير مرجعية هشة لكل من يرغب في بحث أو معرفة شيء عن الإسلام ، وبذلك يكون هؤلاء قد عملوا على ترسيخ صورة نمطية عن الإسلام تلائم أهواءهم ورغبات من يعملون لحسابهم، وهي صورة تصبح أكثر شيوعا وذيوعا من كل ما عداها وتطابق ما تعتبر قطاعات واسعة من المجتمعات الغربية انه هو كذلك مما يجعل مهمة تغيير تلك الصورة وتحسينها أمرا صعبا للغاية.

عندما يُنعَت الإسلام

بإمبراطورية الشر الجديدة

إمبراطورية الشر الجديدة" هو النعت الذي كان قد أطلقه الرئيس الأمريكي السابق رولاند ريجان على الاتحاد السوفياتي البائد أيام الحرب الباردة ، وهذا النعت تلقفته بعض وسائل الإعلام الغربية تلوكه وتمضغه لتصف به الإسلام على اعتبار أنه حل محل الشيوعية التي كانت في يوم من الأيام منبع الشر المستطير ومصدر التهديد والتخويف للحضارة الغربية.

جريدة "لوموند" الفرنسية كثيرا ما يحلو لها وصف الأصولية الإسلامية بهذا النعت مذكية في نفوس القراء نوعا من التوجس والارتياب تجاه الإسلام والحركات الإسلامية ، لذلك فإن هذه الحالة المرضية (الخوف والتخويف من الإسلام) التي تسود بها صفحات وشاشات أجهزة الإعلام الغربية تدفع حتما إلى حالة من الرعب من الإسلام غير مبررة وغير واقعية على الإطلاق ،وتعود بنا الذاكرة إلى التسعينات عندما استعادت بعض حكومات دول آسيا الوسطى مثل طاجيكستان وقير قيزستان وأوزبكستان وغيرها نفس الاتهام الذي سبق للاتحاد

السوفياتي المنهار أن أطلقه على الإسلام والحركات الإسلامية الموجودة بتلك المناطق ، حتى إن السنوات الأولى من التسعينات كانت قد شهدت تحرك كثير من زعماء تلك الدول نحو روسيا والدول الغربية لاستجداء المساعدة والدعم بدعوى أن التطرف الإسلامي قد استشرى أمره في بلدانهم وأنه إذا لم يوضع له حد فستكتوي كثير من البلدان المجاورة بناره . وهكذا تم استخدام " الإرهاب الأصولي" كصلصة لتسويغ طعم تلك البلدان المعزولة التي لا يكاد يلتفت إليها أحد . ولم يكن الأمر حكرا على دول آسيا الوسطى، فالفلبين مثلا استخدمت نفس الصلصة لتبرر سياسة ترهيب الأقلية المسلمة في البلاد واتهامها بالإرهاب ، وحاول مجرمو الحرب في الصرب إقناع الدول الغربية في وقت ما باستئصال شوكة المسلمين من أجل القضاء على قيام دولة إرهابية أصولية في قلب أوربا .

إن مثل هذه الاتهامات غير المبررة للمجموعات الإسلامية المتواجدة داخل بلدان عديدة ونعتها بالإرهاب وكونها مصدر الشر والرعب هي التي سوَّغت للرأي العام الدَّولي بعد أحداث أمريكا في شتنبر ٢٠٠١ أن تجعل عالم الأقليات الإسلامية في كثير من الدول مصدرا للخوف والقلق ومنبعا لتصدير الإرهاب والتطرف . وأساس هذا التحامل -كما يظهر- هو الافتراض القائل بأن كثيرا من

المجتمعات البشرية المسلمة محكوم عليها بالنزوع إلى العنف وتصدير الإرهاب واقتراف أعمال الشر المستطير. غير أن منظري "إمبراطورية الشر الجديدة" يهملون حقيقة حياة المسلمين في الديار الغربية ذاتها، حيث هناك عشرون مليون مسلم بأوربا وستة ملايين أخرى بأمريكا يعيشون في أمن وسلام مع مواطنيهم الغربيين يحترمون قوانين بلدانهم ويتعايشون في ظل الأمن والسلام والألفة مع جيرانهم.

من جهة أخرى لابد من القول بأن إطلاق لفظة "الشرير" على الإسلام له ما يسوغه في ذاكرة اللاوعي الغربي ، فهو نعت كان له رواج إبان القرون الوسطى ضمن الأحكام الجاهزة التي كان يسقطها رجال الدين النصارى في الكنيسة الأوربية على الإسلام(١) ،ولا ننسى أن هذا الدين الجديد الذي كانت رقعته الجغرافية وقتئذ واسعة وطموحه العالمي متوقدا وحيويته الروحية متدفقة كان ينظر إليه بعيون حاقدة ونفوس متوجسة وكأنه - حسب ما جاء في الكتابات التي ترجع إلى القرون الوسطى- دين شيطاني رجيم سماته التجديف والغموض والعنف والرغبة في تقتيل النصارى.

---

(١) هناك أدبيات كلاسيكية كثيرة اهتمت بالموضوع ، أنظر على سبيل المثال كتاب :"
R.W Southern : Western views of Islam in the Middle Age.(Cambridge1962)
وراجع كتاب: G. Zananiri : L'Eglise et l'Islam (Paris 1969)

لقد عرض نورمان دانييلNorman Daniel في كتابه " الإسلام والغرب"[1] نماذج من الإسقاطات السلبية الموغلة في الازدراء والإقصاء التي كان الغرب المسيحي إبان القرون الوسطى يقدح بها الاسلام والمسلمين ، وهي في مجملها تنصب حول اتهام وقذف الإسلام بكونه مصدر الشر والرعب . ولنعط مثالا على ذلك بما سبق ان كتبه دانتي Dante في "الكوميديا الإلاهية" حيث رسم دانتي صورة ل"مومتو"(نبي الإسلام) تجسد تركيبا سلاليا متصلبا من الشرور مع من يسميهم "ناشري الفضيحة والفتنة"، وقد صنف دانتي رموز الاسلام ضمن تصنيفات تنبني على أساسي الخير والشر ،وهو في كل ذلك قد غالى وتوهم وأبدى تصورات في منتهى الخيالية والشذوذ[2]، وبصفة عامة فقد كانت صورة الاسلام المتكونة في تلك العصور المظلمة عبارة عن قوالب نمطية ذهنية ، فالإسلام بدعة مسيحية مرتدة ومنشقة انحازت إلى جانب الشر في الوقت الذي انتصبت فيه المسيحية بجانب الخير ، وانسجاما مع هذا الموقف المعادي فقد رسم الإسلام على هيئة نموذج قبيح دنيء وشرير يتناقض كلية مع المسيحية بوصفها ديانة الحق والخير.

---

(١) Norman Daniel : Islam and the west (Edinburgh 1980)

(٢) أنظر حول هذ الموضوع كتاب :
Youakim Moubarak : La pensée chrètienne et l'Islam, Beyrouth 1977 p 329.

لقد آثرنا الرجوع إلى وعي المسيحية الغربية (الشعوري واللاشعوري) إبان القرون الوسطى لكي تتبين لنا صورة النظرة الموغلة في التشاؤم من الإسلام والتي كونت في حقيقة الأمر صورة النظرة الغربية المعاصرة ، وهي وان كانت أكثر تهذيبا وأقل قدحا إلا أنها نظرة تتغذى من واقع الذاكرة القديمة ذاكرة الاحتكاك والعداء والصدام [(١)] ، يقول أليكسي جورافسكي في كتاب أصدره منذ بضع سنوات :" يمكن القول بأن التصورات الغربية المعاصرة حول دين المسلمين لم تتكون وترتسم في صفحة بيضاء خالية وإنما انعكست في مرآة قديمة مشوهة إذ أن سكان أوربا المعاصرة ورثوا عن أسلافهم من القرون الوسطى مجموعة عريضة وراسخة من الأفكار حول الإسلام التي كانت تتغير تدريجيا مظاهرها الخارجية فقط تبعا لتغيير الظروف في أوروبا ذاتها وتبعا لطبيعة علاقاتها ومواقفها المستجدة نسبيا مع البلدان الإسلامية وثقافاتها الحديثة" [(٢)] .

من جهة أخرى يمكن القول بأنه لم يعد الغرب الحديث يجادل الإسلام بوعيه الديني لكنه بقي عاجزا عن

---

(١) انظر بهذا الخصوص فصل :"صمود التصورات القروسطية" The survival of Medieval concepts في كتاب نورمان دانييل السالف الذكر .

(٢) أليكسي جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، سلسلة عالم المعرفة الكويتية العدد ٢١٥،(نونبر١٩٩٦) ص ٦٨.

تجاوز كيانه اللاشعوري تجاه الإسلام ، وبقي الغرب بذلك مجسدا للاتجاه المعادي للإسلام واصفا إياه بأنه دين العنف ومنبع التعصب والشر.

غير أنه عندما نتحدث عن اتهام الغرب للإسلام في عصرنا الراهن بكونه منبع الشرور فإننا لا نرمي بذلك إلى التعميم والإغراق في التشاؤم ، فهناك أصوات غربية ومؤسسات ثقافية تكن للإسلام كامل الاحترام والتقدير على أساس كونه دينا حضاريا مسالما ، لكن المنابر الإعلامية بمختلف شبكاتها وروافدها هي التي لا تفتأ تثير من جديد الأوهام والتصورات الخيالية الغربية القديمة، وهي تهدف من وراء ذلك إلى الإثارة ولفت الانتباه واجتذاب القراء والمشاهدين . كما أن هناك بعض التيارات السياسية في الغرب التي تبدي من حين لآخر توجسها من الإسلام بعدما كانت تناوئ فيما سبق التيارات السياسية الشيوعية القائمة على مبادئ وقواعد مخالفة ومناهضة تماما، وهذا الأمر الذي كان بالإمكان تلمسه أيام الحرب الباردة قد انتقل هذه الأيام إلى ساحة الإسلام ، حيث يمكن ان نلحظ في كثير من البلدان الغربية تحامل بعض الأحزاب السياسية اليمينية العنصرية ضد الإسلام والمسلمين على اعتبار أنهما مصدر خطورة على البلد المضيف ، وقد تكون تلك الأحزاب قائمة على أساس ديني

كاثوليكي على وجه الخصوص ، وقد تكون قومية متطرفة، أما الأحزاب الدينية فكانت تنظر دوما إلى الشيوعية كمصدر للإلحاد والزندقة لأنها لا تنبني على قاعدة الإيمان بالله الخالق ، ومع تهافت النظام الشيوعي ظهر الإسلام أمام تلك الاحزاب الدينية كدين كاسح ذي نفوذ وتأثير بالغين على أتباع النصرانية ، وبذلك أضحى منبعا آخر للمخاوف والشرور.

أما الأحزاب القومية المتطرفة والتي لا يكاد يخلو منها بلد في أوروبا وأمريكا فهي تقف عاجزة أمام اتساع التواجد الإسلامي ببلدانها وتزايد النزوح والهجرة المكثفة من بلدان الضفة الجنوبية للبحر المتوسط ، وإزاء هذا الواقع لا تجد الأحزاب بدا من قدح وشتم ديانة أولئك النازحين المهاجرين بكل النعوت والأوصاف البذيئة.

وكمثال على ذلك(١) فقد سبق أن عقد مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) بالتعاون مع عدة مؤسسات عربية وإسلامية في مستهل شهر يوليوز ١٩٩٩ مؤتمرا صحافيا أمام مبنى الحزب الجمهوري في واشنطن للإعراب عن استنكارهم لتصريحات خبير السياسة الخارجية في الحزب الجمهوري آنذاك جيمس جورج جاترس الذي تهجم على الإسلام والمسلمين بقوله : "إن

---

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد ٧٥٢٥.

الإسلام عبارة عن نتوء شاذ ليس من المعتقدات القديمة ولا الجديدة بل هو من ظلمات البيئة العربية" . ويضيف قائلا : " إن الإسلام ولد من خلال العنف والحروب والإرهاب" . ولم تخل تصريحات الرجل من ربط بين الشيوعية والإسلام (إمبراطورية الشر الجديدة) فقد قال :" سأترك الأمر للخبراء ليحددوا أيهما حقق نتائج أكبر كآلة قتل للمسيحيين : الإسلام أم الشيوعية؟" وإمعانا منه في إشعال فتيل الخوف والرعب في نفوس الأمريكيين أنذر جاترس بضرورة المجابهة قائلا :" في ضوء نمو حجم المهاجرين المسلمين سوف يكتشف المسيحيون الغربيون ضرورة المواجهة لأنها ببساطة مسألة بقاء فعلي " .

إن مثل هذه التصريحات الشنيعة والمعادية للإسلام تعبر بوضوح وجلاء عن مبلغ الحقد والكراهية الذي لا يتورع من إظهاره مسؤولون غربيون يتسنمون مناصب عليا وحساسة.إن أمثال جاترس بصفته خبيرا في السياسة الخارجية في الحزب الجمهوري الأمريكي يعتبر من صناع القرار في سياسة أمريكا الخارجية ، وبالتالي فإن له دورا سلبيا في تحديد طبيعة العلاقات الأمريكية مع البلدان الإسلامية.

والجدير بالملاحظة أنه لم يشفع للحزب الجمهوري الذي سمح لنفسه بأن يكون غطاء لتصريحات جاترس القدحية كونه حزبا ذا توجهات محافظة (في مجال

الأخلاق وقيم الأسرة وغيرها) ربما اعتبرت الأقرب إلى مبادئ الإسلام وأخلاقياته.

إننا ونحن نعنون فقرات هذا المبحث بعنوان "إمبراطورية الشر الجديدة" نريد من وراء ذلك أن يكون معبرا عن مدى التوجس المخيف الذي يستشعره الغرب من قوة الإسلام الروحية ويقظته المثيرة ، مؤكدين في ذات الوقت على أن هذا النعت الذي أمسى اليوم يلصقه البعض بالإسلام بعدما كان لصيقا بالشيوعية المنهارة لم يطلقه الغربيون جزافا ، وإنما أريد له أن يكون باعثا على إذكاء روح التخوف والتوجس في نفوس الغربيين مع الإيهام بان الإسلام قد أضحى عدوا بديلا حل محل الشيوعية البائدة تجب مقاومته والنيل منه لأنه أخطر بكثير من غيره من الشعوب والتيارات الأيديولوجية ، يقول لورانس براون :" كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة ، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل تلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي والخطر الياباني الأصفر والخطر البلشفي، لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون فإن هناك دولا ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة"(١) .

---

(١) عمر فروخ والخالدي : التبشير والاستعمار طبعة بيروت ١٩٨٢ ص ١٨٤.

وبعد أحداث ١١ شتنبر ٢٠٠١ لم تتورع الصحافة الغربية من إذكاء روح التخويف من الإسلام والمسلمين داعية إلى استئصال " الشر الإسلامي" من جذوره والتخلص من تلك الكتلة الشريرة المسماة بالعالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال كتبت مارجريت وينت في إحدى الصحف الكندية بعد يوم من تفجيرات أمريكا قائلة:" هؤلاء الذين فعلوها (تقصد الهجوم على نيويورك وواشنطن) هم أبناء الصحراء النائية الذين يحملون معهم ثقافة القبيلة القديمة التي تمتزج بالدم والثأر ، والمسكونون بالمعتقدات الجاحدة والكراهية اللدودة ، الذين لا يقيمون وزنا للحياة البشرية ويرتكبون جرائمهم باسم الله ويبدون استعدادا مذهلا للتضحية بأنفسهم وهم يقتلون الآخرين"[١] .

وعلى هذا النحو مضت الكاتبة التي يصب كلامها في اتجاه واحد وهو أن المسلمين جميعا حالة ميئوس منها وجنس فاسد يجب الخلاص منه ، والعالم بغيرهم لا بد أن يكون أفضل كثيرا منه في وجودهم.

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ع ٨٣٢٩ (٢٠٠١/٩/١٧).

هل الإسلام دين مخيف ؟

هل الإسلام دين مخيف ؟ أو بالأحرى هل في تعاليم الإسلام ومبادئه ما يخيف الغرب ويضايقه لكي يلصق به تهمة الإرهاب ؟ عندما نتمعن جيدا في طبيعة السؤال بحد ذاته يتبادر إلى الذهن سؤال ينطلق في الاتجاه المعاكس وهو: هل في المسيحية أو اليهودية ما يخيف الإسلام؟

نحن المسلمين نؤمن طبعا بكافة الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى قبل أن تحرف، وبالتالي فإننا نقر بأنها إنما أنزلت لهداية الناس وابتغاء الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة ،وهذا ما يدفع إلى القول بأنه لا يمكن أن تحمل أية دعوة إلى العنف أو إرهاب الناس ، فلا شيء إذن في الأديان السماوية يخيف الناس أو يرعبهم.

الغربيون أنفسهم عندما تتم مناقشتهم في الموضوع بعد اطلاع عقلائهم على المضامين القرآنية والتعاليم الإسلامية بصفة عامة يقرون بأن الإسلام يعترف بالنصرانية ويقدس المسيح عليه السلام وأمه ويكن الاحترام لأهل الكتاب ويأمر بعدم مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن ، كما أنه يدعو إلى السلم والأمن والتعايش ، بيد أنه بالرغم من ذلك فإنهم يتوجسون خيفة من هذا الدين ليس لأن في تعاليمه ما يدفع لذلك ، ولكن لأن له تأثيرا قويا

على النفوس وقدرة كبيرة على اكتساح المساحات الجغرافية وتجاوز حدوده التقليدية إلى الحد الذي أصبح فيه حاضرا في كل أرجاء الدنيا ، بل وفي عقر ديار الغرب النصراني ذاته ، كل هذا يجعل الغربيين يعترفون مع شيء من الحيرة والدهشة بأنه فعلا هناك ما يخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي والانتشار بسرعة مذهلة وله قوة الجذب والتأثير . وهذه المخاوف لها ما يبررها في نظرهم، فالتواجد الإسلامي المكثف داخل الدول الغربية الذي يمثله بنسبة عالية مجموع المهاجرين من الدول الإسلامية يشكل تهديدا محتملا على مستوى التركيب السكاني لمنظومة الغرب (الأورو- أمريكي)،كما ان إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام بكثافة وبكل تلقائية وطواعية واقتناع يجعل مواطنيهم من المهتمين والمتتبعين يتخوفون من احتمال تناقص أتباع المسيحية لصالح الإسلام خاصة إذا أخذ في الاعتبار أن الإحصائيات الأخيرة قد أثبتت أن مجموع أعداد المسلمين بأوربا وأمريكا تنيف عن الستة والعشرين مليونا ، ستة منها تتحرك داخل أمريكا وتأتي بعدها فرنسا التي يوجد بها ما يناهز الخمسة ملايين أي نسبة ١/١٢ من سكان فرنسا حسب إحصائيات عام ١٩٩٩ ، ونذكر بهذا الصدد ان الفاتيكان كان قد نشر عام ١٩٨٥ إحصائيات يبين فيها لأول مرة في تاريخها أن عدد

المسلمين فاق عدد الكاثوليك،وحسب هذه الإحصائيات فإن عدد الكاثوليك وقتئذ كان قد بلغ ٨٥٠ مليون نسمة مقابل ٨٦٥ مليون نسمة عدد المسلمين[١] .

من جهة أخرى وحسب إحصائيات من مصادر غربية كان حجم التيار اليهودي المسيحي يمثل ٣١٪ والتيار الإسلامي ١٧٪ ، وفي سنة ٢٠٢٥ ستنخفض نسبة التيار اليهودي -المسيحي إلى٢٥٪مقابل ارتفاع نسبة التيار الإسلامي إلى ٣٣٪ . أما توقعات نفس المصادر لآخر القرن الواحد والعشرين فتشير إلى أن نسبة التيار اليهودي - المسيحي ستكون أقل من ٢٠٪ والإسلامي أكثر من ٤٠٪ ، وهكذا يمكن القول بأنه بعد أربعة أو خمسة أجيال من الآن ستكون نسبة المسلمين أكثر من٥٠٪ من سكان العالم[٢] .

وقد انتقل التخوف من ازدياد عدد المسلمين إلى اليهود أيضا حيث أظهرت مؤخرا بعض الإحصائيات الرسمية أن عدد المسلمين بأوربا أخذ يتزايد بنسبة كبيرة في السنوات الأخيرة مما جعل يهود القارة يشعرون بشيء من القلق والحذر إزاء تنامي عدد المسلمين من جهة وزيادة نفوذهم وتأثيرهم من جهة أخرى.وقد تم التعبير عن هذا القلق في مؤتمر لليهود انعقد في مدريد وساهم فيه

---

(١) المهدي المنجرة : الحرب الحضارية الأولى ص ١٤٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٧.

ممثلون عن اليهود في ٣٩ دولة أوربية، وإذا كان المؤتمر لم يحظ باهتمام إعلامي كبير فلأن منظميه حرصوا على تفادي أية تغطية إعلامية مكثفة قد تترتب عنها ردود فعل متطرفة من أحزاب النازية الجديدة أو اليمين المتطرف[١] . ومما تسرب من المؤتمر ان أبحاثا ودراسات إحصائية تم تقديمها ومناقشتها قد أبرزت ان عدد المسلمين في أوربا يتزايد بنسبة مقلقة في السنوات الأخيرة ويبلغ مجموعهم ما يناهز العشرين مليونا في دول الاتحاد الأوربي ، ففي بريطانيا مثلا تزايد عدد المسلمين خلال الأربعين سنة الماضية من ٨٠ ألف نسمة إلى أكثر من مليون مسلم هذه السنة ، أما فرنسا فيوجد بها ما يقرب من خمسة ملايين مسلم . هذا في الوقت الذي لا يزيد فيه عدد اليهود في أوربا كلها عن مليون ونصف مليون نسمة.

أمام هذه المعطيات والإحصائيات لا يملك المرء الحصيف واللبيب سوى أن يتوقع تحرك اللوبي اليهودي والأصوليين النصارى في أوربا لمواجهة هذا الواقع الذي يؤرقه ويقض مضجعه، وبذل كل الجهود لمقاومة تزايد عدد المسلمين وتعَاظُمِ دورهم ونفوذهم، ويمكن القول بأن تغير أوضاع المسلمين في أوربا وتطلعهم إلى اقتحام المراتب العليا وتسنم مراكز القرار في بعض الدول الأوروبية

---

(١) د المهدي المنجرة : الحرب الحضارية الأولى ص ١٥٣.

(البلديات ومجالس البرلمان كما في بريطانيا وبلجيكا على سبيل المثال) كل ذلك يدفع اليهود ولوبياتهم إلى أخذ الحيطة والحذر من ان يُسحَبَ بساط النفوذ من تحت أرجلهم لفائدة العرب والمسلمين.

إن الذي يدفع لجعل هذا الاحتمال قائما هو ما حصل بالولايات المتحدة الأمريكية منذ ست سنوات تقريبا عندما تم الإعلان عن بعض الإحصائيات الرسمية التي تبين ان عدد المسلمين بأمريكا (ستة ملايين نسمة) قد أخذ يفوق عدد اليهود لأول مرة ليحتل الإسلام بذلك المرتبة الثانية بعد النصرانية، وهي المرتبة التي كانت تحتلها اليهودية فيما قبل ،حيث إن الإعلان لم يمُرَّ دون ردود فعل من اليهود الناشطين وذوي التأثير والنفوذ في الإعلام الأمريكي، فالتحليلات والاستطلاعات التي تم إنضاجها إعلاميا قد طالها كثير من التمييع والتشويه للإسلام والمسلمين نجم عنه ترويج تصورات معينة عن الإسلام والمسلمين تحكمها ظواهر معينة برزت في السنوات الأخيرة ، منها على سبيل المثال ظاهرة توجه التيار الإسلامي الجديد في الغرب إلى ممارسة دور سياسي متعاظم ينمو شيئا فشيئا. ومنها أيضا ظاهرة ما يعرف بالتطرف الإسلامي التي يحلو للغربيين ان يبالغوا في توصيفها وتحليلها عن طريق إلصاق تُهم العنف والإرهاب

والتعصب بكل ما يمت إلى الإسلام والمسلمين بصلة. وقد نجحت اللوبيات اليهودية المهيمنة على الإعلام الغربي في جعل كلمة " إرهابي" تقرن بالعربي المسلم.

من جهة ثانية ينبغي التأكيد على أن جميع التخوفات اليهودية والغربية من حدة ازدياد انتشار الإسلام وتنامي أعداد المسلمين وظهور قوتهم بشكل بارز داخل الأوساط والمجتمعات الغربية ذاتها تصب جميعها في مقولة الخطر الإسلامي القادم وهي مقولة زائفة يراد بها التخويف والترويع من الإسلام الذي أبى الخبراء والاستراتجيون الغربيون إلا أن يجعلوا منه خطرا أخضر قادما يحل محل خطر أحمر بائد (الشيوعية) . كما ان تلك التخوفات التي عبر عنها الإعلان عن تلك الإحصائيات المهولة بالنسبة للغربيين قد أعقبتها تعليقات مثيرة من طرف الصحافة الأوربية والأمريكية على وجه الخصوص، حيث أجمعت كثير من الصحف والمجلات السَيَّارة الذائعة الانتشار على إبداء امتعاض كبير وتخوف شديد من احتمال تكون لوبيات إسلامية قوية تعبر عن انتمائها وتمسكها بمبادئ الإسلام وتعاليمه، وبذلك سوف تشكل لا محالة خطرا إسلاميا قد يتهدد الغرب برمته ، ولم يتورع الإعلام بكل مكوناته من صوت وصورة وكلمة في الاستنجاد بالمصطلحات الرنانة التي تم اقتناصها ببراعة قصد توظيفها واستغلالها أثناء

أوقات الأزمات مثل مصطلحات "اليقظة الإسلامية" أو "الإحياء الإسلامي" أو " عودة الإسلام أو " الانفجار الإسلامي" أو غير ذلك.

من جهة أخرى يجب التنبيه إلى ان ازدياد أعداد المسلمين بأوربا وأمريكا على حساب عدد اليهود الذي أخذ يتراجع لم يكن بسبب النمو السكاني الكبير الذي يسود عادة المجتمعات الإسلامية كما زعمت ذلك بعض الصحف الغربية ، وإنما السبب راجع بالأساس إلى تزايد أعداد المقبلين على الإسلام في تلك الديار وغيرها ، فقد ثبت – بشهادة بعض الخبراء الغربيين أنفسهم – أن الإسلام هو أكثر الأديان نموا وأقواها تأثيرا في النفوس وأوفرها أتباعا جُددا [١] . وما ذلك إلا لموثوقية نصوصه الدينية ومصداقية مبادئه التشريعية وصحة عقائده ونبل أخلاقه وقيمه، كما أن روحه السلمية والسمحة هي التي اجتذبت وتجتذب دوما أفواجا من الناس إلى الإسلام يعتنقونه بكل طواعية وتلقائية.وهذه الروح هي التي يسرت لهذا الدين سبل الانسياح والانتشار في الأرض بتلك السرعة العجيبة المذهلة حيث يفزع إليه الناس من أتباع الديانات الأخرى مستظلين تحته بظلال السماحة والأمن والسلام.

إن دعوى "الخطر الإسلامي الناجم عن تزايد عدد

---

(١) مارسيل بوازار : إنسانية الإسلام L'humanisme de l'Islam p 62

المسلمين" التي يكثر تردادها عبر وسائل الإعلام الغربية ومن خلال تقارير ودراسات الخبراء وصناع القرار الغربيين قد أصبحت ورقة رابحة تستخدم كلما برز الشأن الإسلامي على الساحة الدولية بصورة لافتة أو ظهر مؤشر من مؤشرات قوة الإسلام وعظمته وسرعة انتشاره .ولا شك أن الهدف الرئيسي من ذلك كله هو تحريك مشاعر الغربيين وتقوية روح العداء لديهم تجاه الإسلام والمسلمين، فالتخويف من الإسلام وإن كان بطريقة ساذجة تعتمد أسلوب الترهيب والترويع يعتبر من أبرز الطرق المتبعة من طرف الغرب للحيلولة دون سرعة انتشار هذا الدين الذي ما فتئ يكتسح يوما بعد يوم مواقع جديدة داخل جغرافية الغرب ،وليستقطب بالتالي أتباعا جددا ساهمت أعدادهم الوفيرة في احتلاله للمرتبة الثانية بعد النصرانية في أمريكا بعدما كان قد احتلها في أوربا.

ومهما كان انتشار الإسلام سريعا في الدول الغربية فإن تخوفات الغربيين مسيحيين ويهودا تبدو غير واقعية ، إذ أن الأرقام ومعدلات النمو المذكورة والتي يرى الغربيون أنها مدعاة للتخوف والتوجس لا تشكل- في حقيقة الأمر - أي تهديد أو خطر على المنظومة الغربية ، فالمسلمون المقيمون في الديار الغربية أناس بسطاء مسالمون ، يمارسون شعائر عباداتهم وتعاليم دينهم بشكل عادي

وطبيعي ، جلهم من ذوي الثقافة البسيطة السطحية، وهم لا يكنون أية عــداوة أو بغض لمواطنيــهم الأصليين الذين يتعايشون معهم وفق أبهى صور التعايش السلمي وأحسنها ، فلماذا التخوف إذن منهم ومن كثرتهم ما داموا لا يضمرون أي شكل من أشكال العنف أو الاعتداء تجاه غيرهم .

إننا عندما نبحث في طروحات الغربيين الذين لا يملون من الحديث عن خطورة الإسلام الحاضر معهم في أوطانهم نجدهم يتهمون الإسلام بشتى الاتهامات التي ينصب بعضها على الطقوس والشعائر الإسلامية التي يمارسها المسلمون ، فهم يرون أن الالتزام بتلك الشعائر والمحافظة على تطبيقها وتفعيل العمل بها (الصلاة والصيام على وجه الخصوص) يزيد من حدة التشدد والصلابة في المواقف لدى هؤلاء ،وبالتالي فإنهم يتعصبون لدينهم ضد الأديان الأخرى(١) وهذا اتهام باطل من أساسه وتخوف لا مسوغ له ، فهناك جهل تام بطبيعة الشعائر الدينية والتعاليم الإسلامية التي لا تدعو في شيء إلى التشدد أو التطرف كما يزعم القوم ، وإنما بعكس ذلك فهي تمنح المسلم المومن أمنا داخليا وشعورا نفسيا مستقرا

---

(١) لذلك استغرب محققو مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي من وجود مشتبه فيه في الأحداث المروعة التي شهدتها نيويورك وواشنطن لا لشيء إلا لكون التحقيقات قد أثبتت تردده على إحدى الحانات ، وقد كان هذا في الأيام الأولى من التحقيق عندما تم الإعلان عن لائحة تضم تسعة عشر عربيا مشتبها فيهم اقتنع المحققون منذ أول وهلة بكونهم متطرفين ومتشددين .

لا يدفع إلى أدنى مشاعر التشدد أو التعصب ، ولعل منبع هذه المخاوف من طرف الغربيين هو ما يستشعره بعضهم من قلق وريبة تجاه المسلمين المقيمين بالديار الغربية الذين يترددون على المساجد أيام الجمعة وغيرها بأفواج غفيرة تثير الانتباه لدى المارة وتدعو في كثير من الأحيان إلى الإزعاج كما يعتقدون ، وهذا ما عبرت عنه مرارا مختلف وسائل الإعلام الغربية وهي توزع وتنشر صورا للمسلمين وهم يؤدون صلاة الجمعة ببعض البلدان الغربية ، وقد ضاقت بهم المساجد فاضطروا للصلاة خارجها في الطرقات والساحات العمومية، بل إنه في بعض المراكز الإسلامية التي تغص بالمصلين يضطر رجال الشرطة إلى تنظيم السير في الطرقات المجاورة عن طريق تحويل اتجاهات المرور لمدة ساعة أو ساعتين يتطلبها أداء شعيرة الجمعة ، وبذلك تصبح الصور المنشورة في المجلات والجرائد الغربية [١] والتي تظهر المصلين سجدا أو ركعا بأعداد كبيرة ومثيرة منبع قلق لدى الغربيين وبخاصة عندما يتم إرفاقها وتذييلها بعناوين براقة وجذابة تحط من قدر الإسلام وتزدري المسلمين وتحرض على التخويف والترويع من أسس الإسلام ومبادئه وقيمه زعما بأنها

(١) انظر على سبيل المثال مجلة :"L'evenement du jeudi" العدد ٢٧٠ (صفحة الغلاف) ، ومجلة "لونوفيل أوبسرفاتور" العدد ١١٩٦ ص٣٦ ، ومجلة " Le point " العدد ٨٩٣.

تغـذي كل أشكال العنف والتطرف والإرهـاب التي تحـدث هنا أو هنـاك . لكن بـالمقـابل يجب الاعـتـراف بـأن هنـاك أصواتا غـربية تحذر من مثل هذا الخلط وتندد بالكتابات والتحقيقات الصحفية التي تبالغ في وصم الإسلام وقيمه بشتى نعوت العنف والتعصب التي هو براء منهـا ، فهؤلاء الذين تمثلوا إلى حد ما دعوة الإسلام السلمية والمتسامحة يعـتـرفـون بـأن بعض مظاهر العنف والتطرف التي تكون وراءها بعض الجـمـاعـات الإسـلامـيـة لا تسـتند إلى أية مرجعية إسلامية. وهذا ما سعى إلى تأكيده بقوة كثير من الساسة والزعماء الغربيين.

وتكفي الإشارة في هذا السياق إلى ما يقوم به مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن من جهد مشكور في سبيل استدعاء كبار الشخصيات الغربية المعتدلة للتحدث عن الإسلام وحضارته ، وتظهر قيمة ذلك في مدى التأثير البـالغ والصـدى الواسع الذي تحـدثه تلك المحـاضـرات المنظمة والتي تتحدث عنها وسائل الإعلام الغربية وتقدم ملخصات عنها ، ولعل أشهر محاضرة احتضنها المركز المذكور هي محاضرة الأمير تشارلز التي ألقاها أواخر عام ١٩٩٣ تحت عنوان :" الإسـلام والعـالم الغـربي"(١) ،أشـاد فيها بأفضال الإسلام على الإنسانية وانتقد تحامل الغرب

---

(١) انظر نص المحـاضـرة بجـريدة الشـرق الأوسط العـدد ٥٤٥٧ (١٩٩٣/١١/٦).

عليه وسوء النظرة التي يكونها على تاريخه ومعالم سيرورته. وأكد على أن الحكم على الإسلام بأنه مصدر تخويف وتهديد إنما تغذيه الصحف ووسائل الإعلام معترفا بأن حقيقة الإسلام مغايرة لذلك تماما.

بعد محاضرة الأمير تشارلز توالت المحاضرات في موضوع الإسلام وحضارته ، فوزير الدولة السابق في وزارة الخارجية البريطانية جفري هون كان قد ألقى كلمة انتقد فيها التشويه الذي تمارسه وسائل الإعلام الغربية في إلصاق الإرهاب وأعمال العنف للإسلام وعدم التمييز بين الإسلام والعناصر المتطرفة من المسلمين ، وأشار "هون" في محاضرته إلى أن الحكومة البريطانية بالتعاون مع مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية تسعى إلى تنظيم سلسلة من الندوات والمحاضرات تبحث الجوانب الأساسية في العلاقة بين الإسلام والغرب ، وأوضح أن الحكومة البريطانية قد أنتجت برنامجين تلفزيونيين عن بريطانيا والإسلام سيتم عرضهما في جميع أنحاء العالم لإظهار مساهمة المسلمين في المجتمع البريطاني المتعدد الثقافات.

ولا يفوتنا الإشادة بهذا الصدد بآخر محاضرة نظمها مركز أكسفورد والتي ألقاها الأمين العام للأمم المتحدة السيد كوفي أنان تحت عنوان :" حوار الحضارات والحاجة إلى منظومة أخلاقية عالمية" وهي حسب النص الكامل

الذي نشـرته صـحـيـفـة "الشـرق الأوسـط" في نفس يوم إلقائها[1] تتحدث في مجملها عن دور الحضارة الإسلامية وعدم قابليتها لأي صدام أو صراع مع باقي الحضارات ، وقد أكد "أنان" على مكانة الإسلام كدين عظيم في العالم كان نبراسا هاديا لأكثر من حضارة عظيمة.

ومن خلال ملامسته لنظرية هنتنجتون المتشائمة حول صـراع الحـضـارات رفض كـوفي أنان تلك النظرية مـؤكـدا على أن مـخـتلف الصـراعـات إنما تكون داخـل الحـضـارة الواحـدة ، يقـول :" ولكن هل من الصـائب لنا أن ننظر إلى هذه الصدامات على أنها تقع بين " حضارات" مختلفة ؟ لا أظن ذلك ، ففي بعض الأحيان تكون الجماعات المتصارعة ذات ثقافات متماثلة جدا ، بل إن بعضها يتكلم نفس اللغة وتلك هي الحـال ، على سـبـيل المثـال بـالنسـبـة للصـرب والكروات ومـسلمي البـوسنة في يوغـوسـلافـيـا السـابقـة والهوتو والتوتسي في رواندا " .

ويختتم الأمين العام للأمم المتحدة محاضرته بقوله :" يجب أن يقوم الحوار على الاحترام المتبادل ، فليس الهدف هو إلغاء الاختلافات بين البشر وإنما الحفاظ على هذه الاختلافات بل والاحتفاء بها بوصفها مصدرا للبهجة والقوة..لقد جاء في القرآن :" يا أيها الناس إنا خلقناكم

---

(١) راجع جريدة الشرق الأوسط ليوم ١٩٩٩/٦/٢٨ .

من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا "، مما يعني أنه يجب على كل أمة ألا تحترم فقط ثقافة الآخرين وتقاليدهم ، بل وان تترك لمواطنيها -نساء ورجالا على السواء- الحرية للتفكير المستقل ..، إن جميع الأديان والتقاليد العظيمة تتداخل عندما يتعلق الأمر بالبادئ الأساسية للسلوك البشري : الإحسان والعدل والتراحم والاحترام المتبادل والمساواة بين البشر أمام الله ".

هكذا إذن تتبين لنا من خلال مواقف وتصريحات شخصيات سامية ومسؤولة ذات نفوذ وتأثير في الغرب انه ليس في الإسلام ما يخيف أو يروع ، فهو دين سلمي مسالم يدعو إلى الحوار والتفاهم والتواصل مع الغرب وغيره من المنظومات الحضارية ، وليس فيه شيء من بذور العنف أو الدعوة إلى الإرهاب وترويع الناس .

إن مما لاشك فيه أن مثل هذه الأصوات والمبادرات الغربية التواقة إلى ربط جسور الحوار والتفاهم بين الإسلام والغرب كفيلة بأن تحقق أثرا إيجابيا في تحسين صورة الإسلام بين الغربيين ، فالشخصيات الغربية المرموقة أقدر على إقناع مواطنيهم وبني جلدتهم بسمو الحضارة الإسلامية ونزعتها السلمية والحوارية.

الفصل الخامس:

الإسلام دين الأمن والسلام والتسامح

أبيض

يتبين من خلال الفصول السابقة أن ثمة جهات غربية مختلفة تقف موقف الاتهام للإسلام بأنه يذكي ويشجع على العنف ويحرض على الإرهاب ، والمتتبع الحصيف يعلم يقينا أن عقلاء الغربيين والمنصفين منهم وخاصة على مستوى الساسة والحكام يقرون بأن الإسلام بعيد كل البعد عن الدعوة إلى أي صورة من صور العنف. فالنصوص الشرعية صريحة وجلية وتاريخ التعايش الإسلامي مع أتباع الأمم والحضارات الأخرى واضح ومعروف ، والمسلمون الملتزمون بروح القرآن وشريعة الإسلام في كل مكان يعبرون بقوة من خلال سلوكهم وممارساتهم العملية وطرق تعاملهم مع الآخرين عن سماحة الإسلام الداعية إلى الحوار والتفاهم والتعاون مع الآخر المسالم .

وفي هذا الفصل تأكيد على مكانة مبادئ الحوار والسلام والتسامح في الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وذلك لكي يعلم الغير انه ينبغي التمييز بين الإسلام كدين ثابت له معطياته ومبادئه وقيمه السمحة وبين أعمال بعض أبناء المسلمين الشاذة والمنحرفة التي يتبرأ منها الإسلام ولا يمكن أن تعلن باسمه أو تحت لوائه.

أبيض

حق الاختلاف وواجب الحوار.

يحتل مبدأ الحوار مع الآخر في الإسلام مكانة بارزة أساسها التوجيهات القرآنية والنبوية، وهي التوجيهات الداعية إلى إقامة حوار نِدي متكافئ يقوم على الحجة والتفاهم ويسد الطريق أمام الدعوات التي تحمل طابع التخويف والترويع من الإسلام كدين له قابلية للصراع مع الغرب كما زعم ذلك برنارد لويس وصمويل هنتنجتون وغيرهما .

إنه ليس هناك حل لمواجهة النزعة التخويفية التي يحلو للغربيين النفخ فيها واتخاذها سلاحا من أجل التقليل من أهمية الإسلام ومكانته في سياق التدافع الحضاري الراهن إلا بسلوك منهج التحاور مع عقلاء الغربيين ومنصفيهم بقصد توضيح رسالة الإسلام السلمية ودعوته السمحة وإجلاء معالم النظرة الإسلامية للحضارات الأخرى القائمة على أسس التفاهم والتعاون وتقبل الآخر ، وانها بالمقابل لا تقوم على شيء من حب الصراع أو المواجهة مع الغرب ، ولا تكن شيئا من البغض والكراهية تجاهه.

إنه بالحوار فقط يمكن تغيير الصورة القاتمة والمشوهة التي يكونها الغرب عن الإسلام ، وبالحوار فقط

تتاح فرصة التخفيف من حدة تيار التخويف والترويع من الإسلام الذي يهيمن على كثير من مؤسسات الإعلام والثقافة الغربية . إنه بالحوار فقط يمكن الرد على كل ما يسيء إلى الإسلام والمسلمين والاحتجاج على ذلك لدى الجهات المسؤولة في الغرب . ويذكر بهذا الصدد ما نقله أحد مسؤولي قناة ن ب سي NBC من عدم احتجاج المسلمين على ما قد تبثه القناة التلفازية من مشاهد تسيء إلى الإسلام على عكس اليهود الذين لا يترددون في الاحتجاج وإعلان غضبهم على كل ما يمس دينهم.[(١)]

بالمقابل يجب على الغرب أن يعي طبيعة اختلاف الأديان والحضارات ، فالأديان السماوية وإن كانت مشكاتها واحدة وميراثها الإبراهيمي واحدا ، إلا أنها تختلف في روح دعوتها وجوهر رسالتها لذلك كان لابد من مراعاة خصوصيات وملامح كل ديانة ، كما أن الحضارات بدورها تتفق على قدر مشترك من التفاعل وخدمة الإنسانية لكنها تتمايز في خصائصها ومميزاتها وما تبطنه من قيم وتراث تاريخي.

إن الاختلاف سنة من سنن هذا الكون الذي خلق الله فيه الأشياء (مختلفا ألوانها) بتعبير القرآن ، والبشرية في جميع أدوارها كانت محكومة بما يمكن أن نسميه (قانون

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ليوم :٢٨ /٦/ ,١٩٩٩

الاختلاف): ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (١) . وإذا كان الاختلاف ضرورة من ضرورات الحياة فإن من حق كل واحد على الآخر أن يحاوره ويستمع إليه على ان يكون الحوار بالحسنى وبالتي هي أحسن .

إن حق الاختلاف هو الذي يسمح بواجب الحوار قصد تبيان الحقائق وتبديد الخلافات وتوضيح الإشكالات التي تقف حجر عثرة أمام التفاهم المشترك والاحترام المتبادل ، إن واجب الحوار يفرض على الطرف الإسلامي أن يقوم بتبديد وهم حتمية الصراع بين الحضارة الإسلامية التي لا تحمل بتاتا أية عوامل أو بذور للصراع أو المواجهة مع الآخر.

هنا وجب إذن تبصير وتحسيس الطرف الآخر بضرورة التمييز بين الإسلام كدين ثابت له معطياته ومبادئه وأسسه وبين أعمال بعض فئات المسلمين الشاذة التي يتبرأ منها الإسلام ولا يمكن حتما أن تعلن باسمه أو تحت لوائه ، كما أنه لا يمكن أن تتهم المسيحية الحقة غير المحرفة بأنها وراء حوادث العنف التي تقترفها منظمة إيرا الإيرلندية أو منظمة "إيتا" الباسكية بإسبانيا أو غيرهما .

واجب الحوار يفرض أيضا على الطرف الإسلامي أن

---

(١) هود : ١١٨ - ١١٩ .

يوهن ويخفف من ثقل ذاكرة الاحتكاك العنيف الذي طبع تاريخ العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي ، وذلك إنما يتم بالاقتناع بضرورة تجاوز عقدة استعادة التفكير في الجانب السلبي من تلك العلاقة الطويلة الأمد ، وهنا لابد من التذكير بأنه إذا كان الغرب يتذكر دوما وبحسرة وأسى تلك الفتوحات الإسلامية التي طوقت أوروبا جنوبا وشرقا لمدة قرون من الزمن فإن المسلمين هم بدورهم لا ينسون وقع ودمار الحروب الصليبية في البلاد المشرقية كما لا ينسون التأثير البالغ الذي أحدثه الاستعمار في جل البلاد العربية والذي ساهم بقوة في تخلفها وإضعافها.

إن حق الاختلاف والتباين الذي يوجب الحوار والتفاهم هو ما دعت إليه الآية القرآنية : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾[1] . فضرورة التعارف بين القبائل والشعوب ينطبق اليوم على تعارف الحضارات والأديان ، وهو أمر ملح ومطلوب راهنا على الساحة الدولية في سياق هبوب رياح العولمة الكاسحة. كما أن واجب الحوار لا يمنع من احتفاظ كل طرف سواء كان دينا أو حضارة بخصوصياته المميزة ومبادئه الثابتة مما لا يسمح بالتنازل عن أدنى مقوم من المقومات أو شيء من المسلمات ، وهذا أمر يعبر عن اعتزاز

---

(١) الحجرات : ١٣ .

بالأصول والثوابت واستمساك بالأصالة والهوية ، وهذا ما لم يستطع أن يستوعبه أسقف كنيسة روشستر الأنجليكانية عندما أصدر في السنوات الأخيرة كتابه "الرسالة والحوار" والذي ضمن بعضا منه الحديث عن قضية الحوار بين الإسلام والمسيحية زاعما أن تمسك المسلمين بمبادئ دينهم كما تلقوها منذ أربعة عشر قرنا لا يسمح بالحوار مع المسيحية ، ولذلك ما انفك الأسقف يؤكد من خلال جميع فصول الكتاب على ان المسيحية تنفرد بالحوار قبول الرأي الآخر دون الإسلام وغيره من الأديان ، وقد ذهب مؤلف الكتاب إلى ان علماء الإسلام و أتباعه لا ينسجمون مع فكرة الحوار ومجادلة الآخر ، ولا شك أن هذا الزعم خاطئ وغير مقبول ، فتاريخ الإسلام قد عرف عبر امتداد القرون إلى عصرنا الراهن مناظرات ومساجلات ولقاءات حوارية بين علماء المسلمين وغيرهم من رجالات الدين واللاهوت النصارى واليهود ، ونذكر من هؤلاء ابن حزم وابن تيمية والشيخ عبد الله كنون والدكتور معروف الدواليبي والدكتور يوسف القرضاوي وغيرهم كثير ، إن روح الإسلام السمحة والمرنة تنسجم أتم الانسجام مع مبدإ الحوار ومجادلة الآخر وفق شروط معينة وضوابط مقررة ، فالإسلام دين "هاتوا برهانكم" وهو أيضا دين "وجادلهم بالتي هي أحسن".

إن الحوار يعتبر أبرز قناة وأجدى وسيلة لتفكيك النزعة التخويفية من الإسلام التي يمارسها الغرب ، فهو يمكن من توضيح جوهر دعوة الإسلام السلمية الرامية إلى تقبل الآخر والتعايش معه. وبفضل الحوار يمكن التأكيد للطرف الآخر بأن الإسلام لا يدعو بتاتا إلى الاعتداء على الغير أو النيل منه أو جعله يتوجس منه خيفة . إن الحوار مع عقلاء الغربيين وأكثرهم اعتدالا وإنصافا يمهد السبيل للتعريف بأسس الدين الإسلامي الصحيحة التي هي خلاف ما تمارسه وتتبناه شرائح اجتماعية معينة تنتسب إلى الإسلام ، كما يمهد الطريق أيضا للتعريف بطبيعة الشعور الديني لدى المسلمين تجاه غيرهم من أبناء الديانات الأخرى ، وهو شعور قائم على حب التعايش والتعاون والتفاهم .

كل هذا بوسعه ان يعزز بالتأكيد فرص اطلاع الغربيين على معالم الحياة الاجتماعية والدينية لدى المسلمين والتي يدفع الجهل بحقيقتها الغرب إلى سلوك سياسة تشويه صورة الإسلام وبالتالي التخويف منه واخذ الحيطة والحذر من المسلمين.

إننا ونحن نعيش في زمن الفضائيات والتواصل الإعلامي الهائل الذي طوى المسافات وقرب الشعوب والدول فيما بينها يتوجب علينا ان نستغل كل المنابر

الإعـلاميـة المتاحـة لكي نـعمل علـى تحسين وتلميع صـورة الإسـلام لدى الغـرب والتـخفيف من حدة التـوتر الذي يبـرز من فـينة لأخـرى بين الحـضـارتين الإسـلاميـة والغـربيـة ن ولاشك ان تحقـيق ذلك يتطلب خبـرة وقـدرة فـائقـتين على مـخاطبـة الآخر ويسـتدعي التـوفـر علـى إمكانيـات وشـروط التـواصل والتـجـاوب . وهذه كلهـا يسـهل توفيـرها والتـوفـر عليـها إن صـحت النيـات وقـويت العـزائم ، ومـا ذلك بـعزيز على أولي الهمم من علمـائنا ومـفكرينا الغيـورين على دينهم كي يبقـى له مـوقع بين الأديان والحـضارات يتـواصل مـعهـا ويتـحاور في سـبيل تحـقيق " تعـارف حضـاري" بناء وفـاعل يبدد كل أوهام الصدام أو الصـراع ويبشـر بالمقابل بتـباشـير الوئام والتعاون والتواصل.

أبيض

الإسلام دين الأمن والسلام

لقد أضحى مصطلحا "الأمن" و"السلام" في السنوات الأخيرة خاصة بعد أحداث ١١ شتنبر ٢٠٠١ حديث الصحافة الغربية بكل مكوناتها .حيث يحلو لبعض الكتاب والصحفيين الغربيين ربط قضية الأمن والسلام بالإسلام متهمين ديننا الحنيف بكونه يدعو إلى القتال و إلى العنف و الإرهاب. ولقد أصبح الترويع بالإسلام أمرا ما انفكت وسائل الإعلام الغربية توظفه من أجل تجييش مشاعر الغربيين وحملهم على كراهية هذا الدين وأتباعه وكل ما ينبثق عنه.

لقد ورد مصطلح » الأمن« في القرآن الكريم في آيات متعددة كلها دعوة صريحة إلى العمل من أجل استتباب الأمن و تحصيل السلم و نشر معالم الأخوة و التعاون. والإسلام لا يقف عند حدود تنظيم الإجراءات الكفيلة بتحقيق الأمن فحسب كما هو معروف في التنظيمات الوضعية الحديثة، بل إنه إلى جانب ذلك يربي في النفوس تحقيق النيات الصالحة و الدوافع الخيرة والنزوع الدائم و الطوعي إلى الأمن و السلام، و تدعيم أسس الألفة و الطمأنينة.

وفي نفس السياق يتجلى تسامح الإسلام مع أتباع المجتمعات الأخرى المخالفة في مظهر السلم وفق مفهوم الصلح والسلامة وضد الحرب ، وقد وردت لفظة "السلم"

باشتقاقات كثيرة في عدة مواطن من القرآن الكريم، مع ملاحظة ان اتباع الدعوة إلى الدخول في السلم بالنهي عن اتباع خطوات الشيطان يعني ان عكس السلم- أي الحرب - هي من إيعاز الشيطان وكقوله تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) أي : وإن مالوا إلى السلم عن رغبة صادقة .

ويكفي لإبراز أهمية السلم في الإسلام ان نعرف ان لفظ"الإسلام" نفسه مشتق منه إذ هو

يعني الانقياد والاستسلام لله تعالى،ثم إنه عز وجل يدعو إلى دار السلام ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[1] والمقصود دار الأمن والاستقرار والطمأنينة.

إن الإسلام يدعو إلى إشاعة الكلمة الطيبة بين الناس ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2] و﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...**﴾[3] و هو يدفع إلى إفشاء السلام في كل مكان و لكل إنسان على معرفة أو على غير معرفة تأليفا للقلوب و إشاعة للأمن و السلام، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم : "أي الإسلام أفضل ؟ قال : » تطعم الطعام و

---

(١) يونس :الآية :٢٥.

(٢) الإسراء : ٥٣ .

(٣) لبقرة :٨٣.

تقرأ السلام على من عرفت و من لم تعرف «[1]

وعندما نكون مطالبين -نحن المسلمين- بتبادل تحية السلام فيما بيننا وإفشائها فذلك أكبر دليل على أنه لا مكان للعنف والخشونة والكراهية بين المسلمين، فإفشاء السلام ينتج عنه إشاعة المحبة والوئام ونفي كل مظاهر الصراع والاعتداء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"[2] .

فإفشاء السلام يعني السلام و الأمن و الأمان، بل إن الإسلام يسمو بأتباعه إلى أكثر من ذلك، فهو يدعوهم إلى مقابلة السيئة بالحسنة (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم)[3] .

والإسلام إذ يدعو إلى هذه التكاليف و التعاليم السامية يرفع نفوس المسلمين و يطلق طاقاتهم الكامنة في مجال الإنسانية لا في مجال الفردية، و بذلك يوفر للفرد كما يوفر للمجتمع أمنه و سلامته، على أن هذا الأمن مرتبط حسب المنهج القرآني بالأسباب التي يتحكم فيها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان) وأبو داود في سننه (كتاب الأدب) وأحمد بن حنبل في مسنده ٢/١٦٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان).

(٣) فصلت : ٣٤.

الإنسان و يساهم في مباشرته لها. ولذلك جاء القرآن الكريم صريحا في تفسير وقوع الخوف و عدم الأمن بمسؤولية الإنسان نفسه فيما يقع من الأحداث، فقال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1] .

إن الإسلام لا يمكن إقراره في جماعة لا يتوفر فيها الأمن العام و لا السلامة لجميع أفراد المجتمع. و تحقيق هذا منوط بتوفير بعض الضمانات التي فرضها الله تعالى للناس جميعا، و أبرزها ضمانة الحياة حيث قال تعالى : ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[2] . وكل نفس كيفما كانت لها هذا الحق المطلق، و لا شك أن هذه الآية كافية لوحدها لأن تكون أوضح دليل للرد على الغربيين فيما يفتئتون به على ديننا من أنه يدعو إلى العنف و الإرهاب و قد أكدت آيات أخرى كثيرة على تقرير مبدأ السلام الذي يعد ثمرة طبيعية لمبدأ الوحدة الإنسانية، فقال تعالى : (و إن جنحوا للسلم فاجنح لها و توكل على الله)[3] ، و قال سبحانه : ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[4]،

---

(١) النحل : ١١٢ .

(٢) الأنعام : ١٥١ .

(٣) الأنفال : ٦١.

(٤) النساء : ٩٠.

وقد جاءت لفظة "السلام« و مشتقاتها في أكثر من مائة و أربعين آية .

إن فكرة الأمن و السلام فكرة أصيلة متجذرة في أعماق التاريخ الإسلامي، و هي تتصل اتصالا وثيقا بطبيعته و فكرته العميقة عن الكون و الحياة و الإنسان، و هكذا يصبح السلام هو القاعدة الدائمة، و الحرب هي الاستثناء الذي تقتضيه الضرورة من بغي و ظلم و فساد و اختلال في موازين طبيعة الحياة كما أقرها التشريع الإلهي. غير أنه إذا كانت مقولة الخطر الإسلامي أو الإرهاب الإسلامي لا تزال تعشعش داخل أذهان الغربيين فإن كثيرا من عقلائهم و منهم بعض الزعماء السياسيين قد أضحوا يعترفون في الآونة الأخيرة بأن الإسلام بعيد كل البعد عن جميع أشكال العنف و التطرف و الإرهاب و أنه دين السلام.

إن الأمة التي يسري فيها روح السلام هي التي يمكننا أن نسميها بالأمة المؤمنة التي يأمن الناس جانبها و يطمئنون إلى التعاون معها على دفع الظلم وإنقاذ البشرية من الهاوية التي تسعى إليها .

وهذا الأمن و السلام هو الشرط الأول لتحقيق الأخوة الإنسانية التي تجعل الجميع يؤمنون بأنهم خلقوا من أب واحد و أم واحدة، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ**

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[1].

ومما لا شك فيه أن تحقق السلام في عالمنا المعاصر يشترط سلامة المجتمع الدولي الإنساني من الاستبداد وحب الهيمنة و إرادة الشر و تحكيم الهوى. وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك سلام حيث هناك احتلال و اغتصاب للأرض، ولا يكون هناك سلام حيث هناك تقدم شعوب على حساب تخلف شعوب أخرى.

إن ما يجري في الأراضي المحتلة لا يقره أي دين من الأديان، و إذا كان اضطهاد النازية لليهودية يعتبر جريمة بشعة في تاريخ الإنسانية، فإن الصهيونية قد ورثت هذا المنهج السلبي اللا إنساني، و لقد آن الأوان لكي تستيقظ أمة السلام من سباتها من أجل أن تنقذ البشرية جمعاء بالعمل الجيد من أجل محاربة كل الشرور و أعمال العنف غير المشروعة في العالم.

إن الإسلام كدين للسلام ما فتئ يوفر للفرد ضمانات أمنه و سلامته في حياته الجماعية، و تتجلى في روحه معان متعددة من السماحة الإنسانية و الدعوة إلى السلام العالمي، و هي مبذولة للمجموعة البشرية جميعها لا لجنس فيها أو لأتباع عقيدة معينة، إنما هي للإنسان بوصفه إنسانا، و ما الحقوق الأمنية التي يوفرها لأهل الذمة الذين

---

(١) الحجرات : ١٣.

يوجدون داخل المجتمعات الإسلامية و يتعايشون في إطارها مع المسلمين إلا أكبر دليل على مدى احتفاء الإسلام بقضية الأمن واهتمامه بها تجاه أتباع الديانات الأخرى من أهل الكتاب.

وروح الإسلام السمحة ودعوته السلمية هي التي تمكن من إشاعة الود و التراحم و التآلف بين بني البشر، و تدعو إلى تحقيق الأمن بكل أشكاله و إقرار السلام بجميع أبعاده.

وإن المتأمل في دعوة القرآن إلى السلم يجدها في واقع الأمر راجعة إلى أسباب كثيرة كلها نبذ لمنطق القوة السلبية وأسلوب العنف وإقصاء الآخر، نكتفي بالإشارة منها إلى ثلاثة :

أولا: انه يقوم على التعارف والتعاون ، فالقرآن الكريم يؤسس لمبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾(١) .

فالتنوع بين الناس وامتدادهم وتكاثرهم على ربوع الأرض لا يعني ان يتفرقوا أو تتقطع أواصرهم كما لا يعني هذا التنوع أن يتصادموا ويتنازعوا ويلجأوا إلى استعمال القوة والعنف للسيطرة من أجل الثروة والقوة والسيادة

---

(١) الحجرات : الآية ١٣.

وإنما ليتعارفوا ، فللتعارف دور كبير في الحيلولة دون وقوع حوادث العنف والنزاع والصدام وهو يكفل نسبة كبيرة من نجاح لقاءات التفاهم والنقاش والتحاور.

إن المبدأ القرآني في الدعوة إلى التعارف وهو مبدأ إنساني حضاري سام يهدف إلى استبعاد وإقصاء سبل التفكير في استخدام العنف أو الصدام أو الاعتداء ، فهو يقرب الأفكار والمسافات وينسج أواصر التعاون والتقارب.

ثانيا: انه يدعو إلى الحوار الذي يسعى إلى تبادل وجهات النظر وإبداء الرأي والإقناع به في حل جميع المشكلات، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1] .

ثالثا: انه ينبذ التعصب للرأي الذي هو أول دلائل التطرف فالتعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود. وجحود الإنسان على رأيه وفهمه جحودا لا يسمح له برؤية المصالح وتبين المقاصد واستحضار ظروف العصر وفقه الواقع،كل ذلك يجعل صاحبه بعيدا عن روح المسالمة والمحاورة ،ويزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرأي على الآخرين بالعصا الغليظة،والعصا الغليظة هنا قد لا تكون من حديد ولا خشب، فهناك الاتهام بالابتداع أو بالاستهتار بالدين أو بالكفر والمروق –والعياذ بالله– فهذا الإرهاب

---

(١) النحل : ١٢٥.

الفكري أشد تخويفا وتهديدا من الإرهاب الحسي...

و أخيرا فليعلم كل من يتهم الإسلام بأنه ضد الأمن والسلام أو أنه دين العنف و الإرهاب أن روح هذا الدين السمحة و دعوته السامية إلى السلم الطوعي هي التي اجتذبت و تجتذب دوما أفواجا من الناس إلى الإسلام، وهذه الروح هي التي يسرت له سبل الانسياح و الانتشار في الأرض بتلك السرعة العجيبة المذهلة، حيث يفزع إليه الناس من أصحاب الديانات الأخرى مستظلين تحته بظلال السماحة و الأمن و السلام.

الإسلام .. ومبدأ التسـامح الديني

يشكل مفهوم التسامح الديني أحد أبرز الأسس التي يقوم عليها الحوار في الإسلام، فالتسامح و التعايش و التعاون و التفاهم مصطلحات و مفاهيم ترتبط جميعها بدعوة الإسلام الخالدة إلى إيجاد سبل الحوار مع الآخر وفق الشروط و الضوابط المقررة. و إذا كان التسامح مع الذات يعتبر سمة مميزة تطبع المجتمع الذي يدعو الإسلام إلى قيامه فإن التسامح مع الغير من أصحاب الديانات الأخرى يشكل بدوره خاصية مميزة على اعتبار أن الحرية الدينية تقوم على أساس أن الدين عقيدة و إيمان و اقتناع إذ (لا إكراه في الدين). و إذا كان الإسلام دين التسامح مع الذات و مع الغير، فإن فرض هذا المفهوم بشكل علمي وملموس لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق ممارسة حقيقية لمبادئ الإسلام وتعاليمه من طرف أبنائه. فالمسلمون هم المترجمون العمليون لأسس الإسلام و أبعاده، وبالتالي فهم المسؤولون عن تحقيق الصورة المثلى للإسلام و تطبيق دعائم البناء الحضاري للصرح الإسلامي.

لقد كان المسلمون عبر التاريخ حماة لمبدأ التسامح الديني عن طريق إرساء أسس التعايش و الحوار مع الآخرين على اعتبار أن التسامح كمفهوم أشمل يعتبر قيمة

حضارية كبرى و فضيلة سامية في الإسلام ينبع من » السماحة « باعتبارها ملمحا جامعا يطبع مختلف جوانب هذا الدين الاجتماعية و التشريعية والسلوكية، و سمة مميزة طبعت المجتمع الاسلامي عبر قرونه الخالدة. و هو المجتمع الذي كان خاليا من كل تعصب أو تطرف و من كل عنف أو غلو سواء مع الذات أو مع الآخر.

و اليوم، وفي ظل الصراعات المحتدمة و التفاعلات الحضارية القائمة بين الأمم و الشعوب، أصبحت الحاجة أكثر إلحاحا إلى إظهار المسلمين لأسس مبدأ التسامح مع الغير بشكل يهدف إلى تغيير الصورة النمطية المشوهة التي ما فتئ الغرب ينتجها ثم يميعها، وهي -لعمري- مسؤولية أساسية ملقاة على عاتق كل من استشعر القدرة على تبيان حقائق هذا الدين السلمية والسمحة بشكل عقلاني و مسؤول كفيل بتحقيق الأهداف المتوخاة.

و إذا كان مبدأ التسامح الديني في الإسلام أمرا مقررا بالقرآن و السنة من خلال عدة نصوص، فإن محاولة نفي التهمة عن الإسلام بكونه دينا يدعو إلى العنف و الإرهاب قد لا يبدو أمرا سائغا و مقبولا لدى الغربيين بمجرد أن نبرهن لهم على أن قرآننا الكريم لا يحتوي - كما يزعمون - على أدنى بذور الدعوة إلى شكل من أشكال العنف و الإرهاب، و بأن فيه بالمقابل ما يدعو

إلى عكس ذلك من التسامح، و عدم الاعتداء و الدعوة إلى الحوار و السلم و التعايش. لذلك بات من المفروض على المسلمين أنفسهم أن يعبروا من خلال سلوكهم وممارستهم العملية و طرق تعاملهم مع الآخر عن روح سماحة الإسلام و قوته السلمية. إذ لا يخفى على أحد أن بعض المنصفين من الغربيين لا يحكمون على الإسلام بما يتضمنه من مبادئ و تعاليم وإنما يحكم عليه بفعل ممارسات ثلة شاذة من أبنائه، كلما اندفعوا إلى عمل من أعمال العنف هنا أو هناك إلا وجيشت وسائل الإعلام الغربية كل امكاناتها للطعن في الإسلام و اتهامه بشتى أنواع الإسقاطات المرتبطة بالعنف و التطرف.

إن الإسلام دين يدين التعصب و التطرف و يدعو بالمقابل إلى الحوار والجدل المتسامح الذي ينتج عنه دوما حوار هادئ و فعال، و هو يدعو أيضا إلى التعايش السلمي الشامل بين سائر الشعوب حيث يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) كما أنه سبحانه نهى عن العدوان : ﴿ **وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ (١).

ان مبدأ التسامح في الإسلام يرتكز على عدة أسس و ركائز تعتبر أدلة قوية و شاهدة على مدى تغلغل روح السماحة في الاعتقاد و الفكر الإسلاميين، و هي أسس

---

(١) البقرة : ١٩٠.

وركائز مستقاة من القرآن الكريم ذاته الذي ما فتئ الغربيون يوجهون إليه سهام الاتهام بكونه يحمل في طياته بذور العنف و التحريض على التعصب.

و تشكل النصوص القرآنية في الموضوع الإطار العام المحدد لموقف الإسلام الإيجابي من تبادل السماح إذا ما توافر في الآخر. و من أبرز هذه الأسس ما يلي:

١- النهي عن الإكراه في الدين (لا إكراه في الدين) فالّإسلام لَما كان الدين الكامل و النعمة التي أتمها الله لعباده لم يشأ الحق سبحانه و تعالى أن يكون الإيمان به عن قسر وإكراه حتى يكون وصول العبد إلى خالقه بكامل إرادته واختياره. فالمسلمون مدعوون إلى الدعوة إلى دينهم بالحكمة و السماحة والموعظة الحسنة و الحوار بالحجة و العقل و البرهان و الابتعاد عن أساليب الغلظة و العنف و الفظاظة والإكراه. و قد أثبت التاريخ مدى التزام المسلمين بهذه المبادئ خلال فتوحاتهم، فهذا العالم الفرنسي جوستاف لوبون يقول في كتابه الشهير (حضارة العرب). حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم سوف نرى أن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن، فقد ترك العرب الفاتحون المغلوبين أحرارا في أديانهم، وإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من

سادتهم السابقين ولِما كان عليه الإسلام من التسامح الذي لم يعرفوه من قبل... ولم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها"[1] .

٢- الدعوة إلى عدم الاعتداء يقول تعالى : ﴿**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ والعدوان سواء كان فرديا أو جماعيا يعتبر جريمة صريحة. يقول عز وجل: ﴿**مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**﴾[2] . فالإسلام ينظر إلى مخالفيه بتسامح ما لم يقاتلوه أو يريدوا البغي والظلم وما قد ينجم عنهما من فتنة، يقول سبحانه : ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه**﴾[3].

٣- التشجيع على البر بغير المسلمين المسالمين وحسن معاملتهم، ويشهد له قوله تعالى : ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[4] . وقد أظهر الإسلام لغير المسلمين الذين يشكلون أقليات في المجتمع الإسلامي من التسامح المفضي إلى التعايش والتساكن الشامل ما يكفل لهم حرية ممارسة عقائدهم، ولذلك نهى

---

(١) حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر ص ٤٠.

(٢) المائدة : ٣٢ .

(٣) البقرة : ١٩٣.

(٤) الممتحنة : ٨ .

الإسلام عن مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن.

٤- توظيف الخطاب القرآني في مخاطبة اليهود والنصارى لتعبير له إيحاؤه ودلالته في التقريب بينهم وبين المسلمين، وهو تعبير (أهل الكتاب) أو (الذين أوتوا الكتاب) ويطلق عليهم أيضا أهل الذمة أي أهل العهد والأمان والضمان. ومثل هذه التعبيرات تدل بوضوح على روح التسامح والمرونة والدعوة إلى الحوار والتفاهم مما يجب أن يسود علاقات المسلمين بغيرهم.

٥- التأكيد على مشروعية الاختلاف مع الآخر مما يعني الإقرار بقبوله ونفي الاعتداء عليه فالاختلاف في الإسلام سنة كونية ما فتئ القرآن الكريم يثيرانتباه المسلمين إليها، اختلاف في مظاهر الكون واختلاف في البشر وفي أجناسهم وألسنتهم وألوانهم،وعقائدهم ومذاهبهم، فالاختلاف سنة لا سبيل إلى إلغائها وتجاوزها، بل ينبغي فهمها واستيعابها.

قال تعالى: ﴿ **وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾[1] و[2] وقال: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[3].

---

(١) هود : ١١٨ - ١١٩.

(٢) "مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي" طبع وزارة الأوقاف المغربية ١٩٩اص ٣٦٤.

(٣) المائدة : ٤٨.

فسنة الله في الأرض تقوم على تباين البشر. والإسلام يرى الأمر خاضعا لإرادة الله تعالى الذي يؤكد هذه الإرادة وما يترتب عنها من عدم إكراه الناس على الإيمان فيقول: "﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾"(١) وإنها لآية كريمة تدل على أن الله تعالى لو شاء لجعل الناس في مستوى واحد من الفهم والإدراك المفضيين إلى الإيمان.

وإذا تم التأكيد على مشروعية الاختلاف مع الآخر ثم الإقرار بقبول الآخر،فالإسلام يقبل الآخر من موقع القوة وليس من موقع الضعف، ولذلك فهو ليس في حاجة إلى أن يمارس أي شكل من أشكال العنف لاحتواء الآخر ، لنضرب مثلا لذلك بأهل الذمة الذين لم يظهروا كحركة اجتماعية احتجاجية تحتج على تفاقم أوضاعها ولم يدخلوا في نضالات دامية ومستمرة واجهها الإسلام بالعنف أولا ثم لما فشل قبل بالأمر الواقع وتم استيعابهم داخل الإسلام ، بل نظر الإسلام بدءا أو حتى قبل أن يصبح قوة لوجود الآخر داخله ،فسن قوانين تنظم سبل التعامل معهم وحمايتهم من كل اعتداء وإشراكهم في المواطنة مع احتفاظهم بأديانهم.

إن الإقرار بقبول الآخر والاعتراف به مع حصول

---

(١) المائدة:٥٠.

الاختلاف معه سواء على مستوى الاعتقاد أو الأفكار أو المواقف يدفع إلى التحاور معه والتفاهم ويحول دون ممارسة العنف عليه والاعتداء عليه ، فيكون هناك من التسامح وعدم التعصب للرأي أو الموقف ما يدعو إلى التفاهم والتعاون على تقريب شقة الخلاف والتوفيق بين الآراء والمواقف.

إذا كانت تلكم هي أبرز الأسس القرآنية التي يقوم عليها مبدأ تسامح الإسلام تجاه أتباع الديانات الأخرى فإن مسؤولية حمل لواء ذلكم المبدأ وتطبيقه على أرض الواقع تقع على المسلمين الذين يتوجب عليهم العمل على تغيير الصورة القاتمة التي نسجتها المخيلة الغربية عن الإسلام، وذلك بإبداء كل ما يشجع على التعاطف إن لم نقل الاحترام النسبي تجاه ديننا. ولاشك أن مبدأ التسامح تقوم على أساسه كل المفاهيم والمبادئ الأخرى التي تحكم العلاقات بين الأمم والشعوب، فالتسامح يتيح فرص اللقاء والحوار والتفاهم والتعارف وغير ذلك.

والجدير بالذكر أنه يتوجب على المسلمين أيضا تبيان حقائق الإسلام الصحيحة وتمثلها من خلال الممارسات والأفعال ومن خلال العلاقات والمعاملات التي تُعقد مع الآخرين. إنه من قبيل التخاذل والنكوص أن نكتفي بإلقاء اللوم على الغير وأن نشكو حالنا وصورة ديننا المشوهة. إن

على المسلمين واجب العمل بجد وهمة قصد تصحيح تلك الصورة السلبية وإظهار مدى تسامح الإسلام وبعده عن كل أشكال العنف والإرهاب.

أبيض

مبحث ختامي:

من أجل مواجهة حملات

اتهـــام الإســـلام بالإرهـــاب.

أبيض

لقد حققت الحملات المحمومة ضد الإسلام التي تصاعدت وتيرتها في الآونة الأخيرة كثيرا من أغراضهافي سبيل تشويه صورة الإسلام والمسلمين بالكلمة والصورة والصوت والكاريكاتور.

وقد يعتقد البعض أن وسائل الإعلام لا تعمد إلى الإساءة للإسلام والمسلمين، لكن تفعل ذلك انطلاقا من طبيعتها التجارية البحتة واهتمامها الرئيسي بالحصول على ربح مادي أو سبق صحافي، ولهذا فهي تتسابق نحو عملية صنع عناوين مثيرة وبراقة كي تستطيع الحصول على عدد كبير من المبيعات والقراء.

ونحن نقول إن كان القصد غير متعمد فلماذا يتم الإلحاح على أن يكون التشهير بالإسلام والمسلمين بضاعة رابحة. لماذا لا يتم التحامل على الديانات والثقافات الأخرى ويتم التكالب على الإسلام وحده، لماذا يصر الغربيون على الإعتقاد بأن ازدراء الإسلام والإستخفاف بتعاليميه وأسسه يعتبر أكثر إثارة وأوفر ربحا، ثم لماذا لايتم احترام مشاعر المسلمين في أنحاء العالم وقد بات تعدادهم اليوم يناهز خمس سكان المعمورة.

لابد من التذكير بأن الإسلام كان وما يزال يمثل إزعاجا للغرب نظرا لما يشكله من قوة روحية لانظير لها، تستهوي قلوب الآلاف المؤلفة في كل أرجاء الدنيا يعتنقونه

باقتناع وإيمان ويعملون على الدعوة إليه ورفع كلمته ونشر ألويته، وهذا ما يدفع الغرب إلى بحث آليات صد وردع ما يسميه « الزحف الإسلامي.»وتعتبر وسائل الإعلام أبرز الطرق الكفيلة بالقيام بهذه المهمة، لذلك باتت حملات التشويه والتمييع الإعلامية التي توجه ضد الإسلام وأتباعه ذات توجه عدواني يرمي إلى الحيلولة دون أدنى تقبل لاعتناق هذا الدين من قبل الغربيين، فوسائل الإعلام الغربية لها من الفعالية والتأثير ما يجعل الغربيين ذوي قابلية واستعداد بالغين للتصديق والاستيعاب السريع لكل المعلومات الخاطئة والمغلوطة في حق الإسلام والمسلمين، ولا شك أن التغطية الصحافية الزاخرة بالمغالطات والافتراءات إذا عززتها صور تلفزيونية مشوهة للإسلام ورافقتها رسوم كاريكاتورية بالغة الإزدراء والاستخفاف فإنها تتفاعل في ذهن الغربي بشكل مستمر فَتُكَون لديه ما يعتقد أنها حقائق صحيحة عن الإسلام، وبالتالي ترسخ في ذهنه صورة قاتمة ومزيفة عن الإسلام والمسلمين.

إن من أكبر دواعي استمرار وتمادي الإعلام الغربي في تهجمه وتشويهه لصورة الإسلام هو سكوتنا ولزومنا للصمت حيال مختلف الحملات التمييعية ضد الإسلام، فأصبحت بذلك الآلة الإعلامية الغربية لا تجد غضاضة في نهج مختلف السبل لعرض الإسلام وتحليله وتصويره

بشكل يجعله « معروفا » حسب طريقتها للقراء والمشاهدين الغربيين، فتكونت من جراء ذلك صور مشوهة عن ديننا تطال كل مجالاته وتعاليمه ومبادئه، تكرست في أذهان الغربيين وأمست شيئا مألوفا . وها نحن اليوم نؤدي ثمن غفلتنا ونكوصنا عن القيام بالواجب فأصبحنا نقرأ ونسمع أوصافا فظيعة وتهما مكذوبة وأراجيف مختلقة توجه ضد الإسلام والمسلمين.

إننا لا ننكر ما تقوم به بعض الجهات الرسمية والمؤسسات الإعلامية من واجب ممارسة حق الإنكار والإحتجاج، لكن يجب رسم خطة محكمة لرصد كل الحملات والانتهاكات الإعلامية التي تمارس ضد الإسلام والمسلمين قصد البحث عن أسبابها وخلفياتها ثم مواجهتها والتصدي لها .

بيد أنه ليس الهدف من المواجهة إعلان الغضب الجامح وممارسة أسلوب السب والشتم، فهذه الوسائل لن تفيد في شيء ولن تزيد الأمر إلا توترا، لقد بات من الواجب على كل ذي غيرة على دينه وعلى كل من يستشعر ضرورة الاهتمام بأمور الإسلام والمسلمين أن يعمل حسب استطاعته وقدراته المادية والمعنوية على الحد من التحامل الشديد الذي يطال ديننا الحنيف، فإذا كان هناك سوء فهم بين الإسلام والغرب فيجب أن يتم تبديده عن طريق ربط

جسور التفاهم والتحاور على نحو إيجابي يكفل فهم كل طرف لطبيعة وتوجهات الطرف الآخر. وإذا كان هناك تخوف من الغرب تجاه الإسلام فيجب على حماة الإسلام ودعاته أن يبينوا بالتي هي أحسن كيف أن الإسلام سلمي في طبيعته الدينية متسامح في تعامله مع الآخر، تواق إلى الحوار والتعايش. أما إذا كان هناك تحامل من جانب الإعلام الغربي على الإسلام - وهو الحاصل فعلا - تختلف أسبابه وخلفياته وتتباين أهدافه ومقاصده، فيجب العمل بقوة وحِدَّة على استئصال شوكة الآلة الإعلامية الغربية المتسلطة - ظلما وعدوانا - على حمى الإسلام وحظيرته، من هنا نرى أن هناك من وسائل دفع تلك الحملات الشرسة والمغرضة ما هو كفيل بتحقيق بعض النتائج المنشودة إن صحت العزائم وقويت الهمم وتضافرت الجهود، من ذلك على سبيل المثال.

أولا: رصد كل الحملات التشويهية التي تثار ضد الإسلام والمسلمين عبر وسائل الإعلام الغربية، ومن خلال المقررات والكتب الدراسية والعلمية والإحتجاج على كل ذلك وفي كل مناسبة، إذ الإنكار والاحتجاج يثيران الرأي العام بصفة عامة والإعلامي منه على وجه الخصوص، مما يدفع حتما الجهات والمنابر الإعلامية الأخرى إلى التحفظ وأخذ الحسبان لكل ما قد تُقْدِم عليه أو تفكر فيه من

محاولات التشويه المغرضة.

ثانيا: يجب التفكير في ربط جسور التعاون والتواصل بين وسائل الإعلام العربية والشبكات الإعلامية الغربية المهيمنة على مختلف وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية، وذلك في إطار اتفاقيات تعاون وتفاهم مشتركة يندرج في ضمنها الإتفاق على احترام مقومات ومقدسات كل حضارة، والعمل على تفادي أسباب الاستفزاز والازدراء وإثارة المشاعر، ولا شك أن هذا السبيل قمين بتحقيق نتائج مرضية خاصة إذا علمنا أن جل وزارات الإعلام في الدول العربية والإسلامية لها علاقات واتفاقيات مع نظيراتها الغربية، لكن للأسف الشديد لم يتم التفكير لحد الآن في إثارة هذه القضية الحساسة.

ثالثا: ينبغي تجنيد وتوفير الأطر والكفاءات الفكرية العاملة بالديار الغربية والتي يؤمل أن يكون لها دور فعال في تصحيح المفاهيم حول الإسلام وتحسين صورته عن طريق التحاور والتفاهم، إذ من المعلوم أن القنوات الإعلامية الغربية كثيرا ما تخصص برامج ثقافية حول قضايا تهم الإسلام والمسلمين تكون في غالب الأحيان قد نجمت وتمخضت عن أوقات أزمات معينة،(أعمال عنف - قضية الحجاب - هجرة المسلمين إلى أوروبا - قضية المرأة...إلخ) ويعتبر المسلمون ذوو الأصول الأوروبية

والأمريكية أفضل الناس تحاورا وتواصلا في هذا المجال، لأنهم أدرى بطبيعة المحاور الغربي وأقدر على الإقناع والإبانة عن حقائق الأمور. بالإضافة إلى كل هذا يجب أن تكون المراكز الثقافية الإسلامية بالغرب ذات دور فاعل في هذا المجال، سواء فيما يخص واجب إشاعة حقائق الإسلام وضرورة تبيان أصوله ومبادئه الأصيلة، أو على مستوى ربط علاقات وصلات مع المؤسسات والجمعيات الغربية والنفاذ إلى مختلف مؤسساتها قصد إيجاد منابر تتيح الفرصة للتعبير عن وجهة النظر الإسلامية في بعض القضايا المثارة.و لا ينكر أحد دور رابطة العالم الإسلامي في كثير من العواصم غير الإسلامية في دعم الكفاءات الفكرية والعقول المهاجرة وتنظيم ملتقيات وندوات فكرية من أجل تحليل الأسباب ومعالجة الدوافع الكامنة وراء لجوء بعض المؤسسات الإعلامية الغربية إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين والبحث عن سبل وآليات التصحيح.

رابعا: يجب استغلال شبكة « الأنترنيت» في خدمة الإسلام. وفي مجال مواجهة حملات تشويه صورة ديننا تبدو الحاجة إلى توظيف هذه القناة ماسة وملحة، بل تكون من أجدى الوسائل لعرض صورة ناصعة وواضحة عن أسس الإسلام وتعاليمه وقيمه. فباحتلال بعض المواقع داخل الشبكة يتم من خلالها تقديم معطيات ومعلومات

دقيقة عن مختلف القضايا الإسلامية التي يكثر حولها الجدل والنقاش ويتردد ذكرها في الغرب بكثير من الازدراء والاستخفاف (الجهاد، قضايا المرأة، حقوق الإنسان في الإسلام، الإسلام والعنف...إلخ) نستطيع تحقيق مكاسب ذات بال من غير التجاء إلى أسلوب المواجهة أو الوقوف في موقع الدفاع والرد، بل يتم الاكتفاء بعرض الإسلام بطريقة بنائية تعتمد منهج التعريف والتوضيح بحيث لايكاد يشعر الغربي أنه المخاطَب بذلك. وهكذا يكون هذا العمل - بإذن الله - مجديا ومفيدا على عدة مستويات. وسيحقق من دون شك نتائج فعالة وواسعة النطاق مادامت « الأنترنت» قد غزت البيوت والمكاتب والمؤسسات، وأضحت اليوم في الديار الغربية الوسيلة الأولى والأقرب لاكتساب مفاتيح العلوم والفنون والمعارف المختلفة. ونشير بهذا الصدد إلى اقتحام منظمة « الايسيسكو » لشبكة «ا الأنترنيت » بهدف القيام بتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتقديم صورة شاملة عنه تبين حقائقه الناصعة وتوضح مثله وقيمه السامية. وإنه لعمري مشروع ضخم - كماأخبرني بذلك أحد خبراء المنظمة - يحتاج إلى تمويل كبير وجهود متكافئة نأمل أن تكون مختلف الدول الإسلامية ا لمنضوية تحت لواء المنظمة مستعدة للإسهام فيه بما يعود بالنفع العميم على ديننا الحنيف.

هذه إذن بعض الآليات والسبل الكفيلة بتصحيح صورة الإسلام ومواجهة حملات التشويه التي تطاله، وقد يراها البعض بعيدة المنال، إلا أنها - في رأيي- ممكنة التطبيق - ولو نسبيا- مادامت لا تتطلب أكثر من توفير وتسخير طاقات علمية بارزة وفعاليات فكرية ذات مستوى عال فضلا عن إيجاد مصادر التمويل المادي، وما كل هذا على همم علمائنا ومفكرينا من جهة وعزائم بلداننا ومنظماتنا الإسلامية من جهة أخرى بعزيز، وما لا يدرك كله لا يترك جله والله من وراء القصد.

لائحة المراجع :

١- أسباب النزول (الواحدي) طبعة بيروت ١٩٨٢.

٢- الإسلام الأصولي (برنارد لويس وإدوارد سعيد) مؤسسة الأبحاث العربية -بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣.

٣- الإسلام والمسيحية (أليكسي جورافسكي) سلسلة عالم المعرفة الكويتية ، العدد ٢٥ نونبر ١٩٩٦.

٥- التبشير والاستعمار (عمر فروخ والخالدي) طبعة بيروت ١٩٨٢.

٦- تغطية الإسلام (إدوارد سعيد) مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣.

٧- الحرب الحضارية الأولى (المهدي المنجرة). الطبعة الأولى الدار البيضاء ١٩٩١.

٨- حضارة العرب (غوستاف لوبون) تعريب (عادل زعيتر).

٩- دراسات في الاستشراق ومناهجه (د حسن عزوزي) ، الطبعة الأولى فاس ١٩٩٩.

١٠- الرحيق المختوم (المباركفوري) طبعة الدار البيضاء ٢٠٠٠.

١١- الاستشراق (إدوارد سعيد) ترجمة كمال أبو ديب بيروت ١٩٨١.

١٢- سنن ابن ماجة عناية محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العربية ١٩٥٢.

١٣- صحيح البخاري، المكتبة الثقافية ببيروت بدون تاريخ.

١٤- صحيح مسلم.عناية محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب العربية ١٩٥٥.

١٥- العنف والديمقراطية (عبد الإله بلقزيز) منشورات الزمن (ماي ١٩٩٩) الرباط.

١٦- الغرب وسياسة التخويف من الإسلام (د حسن عزوزي) مطبعة فضالة بالدار البيضاء ٢٠٠٢.

١٧- فتح الباري (ابن حجر).طبعة دار الفكر ببيروت ١٩٩٣.

١٨- المتطرفون (د عمر عبد الله كامل) الطبعة الأولى بيروت ٢٠٠٢.

١٩- المجموع للنووي.المطبعة المنيرية بالقاهرة ، بدون تاريخ.

٢٠- مجموع الفتاوى (ابن تيمية) ، طبعة دار المعارف بالرباط ١٩٨٠.

٢١- مسند أبي يعلى ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ببيرت طبعة أولى ١٩٩٨.

٢٢- مسند الإمام أحمد ، طبعة دار صادر ببيروت.

٢٣- مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي(ندوة) طبع وزارة الأوقاف المغربية ١٩٩٠ .

٢٤- Jean -Claude Barreau : de l'Islam en general -Paris ; 1991

٢٥- Norman Daniel : Islam and the west , (Edinburgh 1980)

26- Gilles Kepel : la revanche de Dieu . Paris 1991

٢٧- Bernard Lewis : le retoure de l'Islam ed Galimard - Paris 1985.

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني : عندما يتهم الإسلام بالإرهاب.

- كلنا ضد الإرهاب، ولكن.. ما هكذا تورد الإبل.
- تعريب الإرهاب، إلى أين ؟
- الإرهاب لا انتماء له ولا جنسية.
- من أجل تعريف دولي للإرهاب.

الفصل الثالث : من يقف وراء الاتهام.

- دور القولبة الإعلامية المعاصرة
- المستشرقون الصحفيون وأسلوب الإثارة والتضليل
- أصحاب نظرية الصدام الحضاري،
 وخرافة حتمية الصراع بين الإسلام والغرب .

الفصل الرابع : سياسة التخويف من الإسلام.

- سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي.
- طبقات الخبراء الإستراتيجيين والنزعة الإسلاموفوبية
- عندما يُنعت الإسلام بإمبراطورية الشر الجديدة
- هل الإسلام دين مخيف

الفصل الخامس : الإسلام دين الأمن والسلام والتسامح.

- حق الاختلاف وواجب الحوار .

أبيض